وجهة التطور

☆

في كلمة السنة الجديدة أوضحنا ضرورة إيماننا بالحياة ، « وأن الايمان بالحياة هو الايمان بالتطور : فلولا التطور لما كانت الحياة . . . التطور على اطلاقه : تطور الكون والجماد والمادة الحية والانسان والجماعة بجميع عناصرها الروحية والمادية » . « وان كلمة الساعة هي في لبنان (وفي البلدان العربية) وفي كل بلدٍ من بلاد العالم : علينا أن نكون في مقدمة التطور فنصيره ويصير منا » . . .

ولا يمكن في الواقع فصل التطور عن جذوره العميقة وعن أهدافه الكونية البعيدة والشاملة من حيث انه مظهر ووسيلة لانشاء وبقاء وصيرورة الكون بأسره – وعلى الاقل عالم الكائنات الحية . .

يقول برغسون : الخلق يحتم ظهور الحياة . . . اي أن فكرة الخلق ونزعته تفرض وتحتم مولد ونشوء الحيـاة . . « La vie est une exigence de la création » وحتى اذا ما تجردنا عن كل فكرة ميتافيزيقية للخلق ولما وراء الطبيعة وتمسكنا بالتحديد الوضعي والعلمي لتطور الكائنات الحية وجدنا : « انه يجب ان نعتبر التطور كحدث شامل تقدمي وغير قابل للارتداد الى ما قبل ، ينجم عن عمل مشترك (وتفاعل) تقوم به اجهزة بدائية كالتكيف (لمارك) وسنة الترقي والتنقية الطبيعية (داروين) والتحولات الفجائية (نودان ودو فري) . . » وان « التطور يبدأ بالمادة الحية اللاشكلية او بكائنات شبيهة بالكونوسيت ينقصها التكوين الخلوي ، وينتهي (التطور) الى الانسان المفكر والواعي » (Le Comte de Noüy) .

ويظهر لنا كأن الحياة تنزع من قصد او عن غير قصد – في احدى اتجاهات تطورها الكبرى – الى الزيادة المضطردة في مقدار وعي الكائن الحي وحدة هذا الوعي والى الزيادة في حريته في التصرف وفي التخلص من قيود وسنن المادة ، كلما ارتقى في سلم الاجناس والفصائل والفروع التي تتطور باتجاه الدوحة الحيوانية التي يتوجها ويختمها الانسان . .

ويظهر لنا انه ، بنتيجة هذا الوعي وهذه الحرية في الانسان ، كأن التطور قد عدل عن نزعته البيولوجية الظـاهرة وعلى الاقل باتجاه الدوحة التي ختمها الكائن البشري منذ بضع مئات الالوف من السنين – والرامية الى التحقق والامتداد والتنوع بأجناس وفروع وفصائل جديدة ؟ . وان تطور الحياة هذا قد تحول بفضل هذا الوعي وهذه الحرية الى تطور اجتماعي واخلاقي ونفساني ، هدفه نشوء وبنيان واستنباط القيم والانظمة الاجتماعية والاخلاقية والروحيَة – وهذا هو الفاصل الوضعي بين عالم النبات والحيوان وبين العالم البشري . .

اذا ما ادركنا هذا تمام الادراك واكتنهنا غرض الحياة والتطور ووجهتها منا وفينا واننـا في الواقع أداة مكلفة بتحويل التيار الحي ، الزاخر بالامكانيات منذ فجر الحياة ، الى فكر وشعور وإشراق وقيم حق ومحبة وجمال ، توضحت لنا اي قيمة هي الشخصية البشرية واي قيمة هي حياة كل كائن بشري ورسالته – وذلك بالاستقلال التام عن اي مبدأ ميتافزيقي ولاهوتي كان . . . وانه يتوجب علينـا ان نصير هذا الوعي وهذه الحرية وان ننتظم بهـا وبالتالي بصيرورة التطور والحياة . .

ويبدو لنا اذ ذاك على حد تعبير البيولوجي جوليان هكسلي « ان الحياة خليقة بأن نحياها . ! »

كمال جنبلاط

رلكه شاعر الفقر والموت

بقلم الدكتور عبد الرحمن بدوي
مدرس الفلسفة بجامعة فؤاد الاول



وتراً موهف الاحساس ، قرعته انامل الليل الغليظة فراح يدوي ، لكنه عواء الطير الجريح .

اما الوتر فروحه الشاعرة ، روحه العذراء التي تلمست الحياة بين اسراب الاحلام المجنحة بأكاليل الورد ، الرفافة في سحبات الفجر ، المخضلة بالانداء الصافية للوجدان الاسيان . فما مس شيئاً ، مهما يكن ثقيلاً كثيفاً ، الا استحال شعراً .

اما تلك الانامل الغليظة ، انامل « تلك الليلة الكبرى » ، كما نعتها ، فأنامل المدينة العظمى الممتدة بمخالبها الحادة تنشبها في لحم النضارة الاولية ، وان طلتها وزينتها كالفاجرة الرهيبة ، مدينة باريس وقد هوى في اعماق هاويتها كالشهاب الساقط .

هب يصرخ من تلك الاعماق ، يشكوهـا الى رب الفقراء والمساكين الذين تسحقهم تلك المدن الكبرى ، فكان من شكواه تلك المزامير التي دعاها : « سفر الفقر والموت » .

كان عرقاً من المعدن الصافي دفيناً وحيداً في احضان الجبال ، وكان مهجوراً في هاوية لا نهاية لها ولا قرار ، شريداً في ليل عميق نفرت منه الآفاق . فاستشعر كأن كل ما هناك يحتوشه ، يحاصره ، ثم يستحيل حجراً وخزته شائعة الالم وهو الغريب الضال في فم هذا التنين الهائل الذي يسمونه المدينة الكبرى ، وخزه فطلب المزيد ، لان الالم الاعمق هو المحرر الوحيد لهذه الحساسة المشبوبة .

ازعجته « تلك الليلة الكبرى » ، فلترد من ازعـاجه ، لتثقل عليه ، بل لتسحقه ، ولتضغط بكل يدها الثقيلة الوحشية على نفسه اللطيفة البريئة ، حتى يغني فيها صارخاً من اعماق الهاوية .

اصطدم بقساوتها اينما حل ، واستشعر الجزع حيثما سار ، الجزع الكوني المنتشر عن انفاس المدن الهائلة .

هذه المدن ، من ذا الذي يقدر على وصف ما فيها من حماقة وما لها من رهبة ؟ بربك ايتها العاصفة الكبرى ، هبي واذريهـا واجعليها هشيماً ينساق امامك كالتراب .

« الا ليتني كنت الساهر على كل آفـاقك .. دع نظرتي ، جسوراً شاملة ، تشمل مدى البحار . هيء لي ان اتابع مسار الانهار ، حتى استطيع ان اسمع ، من وراء ضوضاء شطئانهـا ، صوت الليل الصامت يرتفع . خذ بقيادي خلال سهولك التي تقصف فيها الارياح حيث تقع اديرة خشنة احياء لم يحيوا ، تقهرها بين اسوارها التي تشبه الاكفان .

« لان المدن الكبرى ، يا الهي ، رحيمة ، وفي حضنها يفرخ الفزع من الحدائق ، وليس لها ان ترجو غفراناً ، وأجلها محدود » .

« في هذه المدن يشقى بالحياة اناس ساخطون ، يموتون ولا يدرون لماذا تعذبوا ، ولم ير واحد منهم الا تلك التقطيبة البائسة التي حلت في اعماق الليالي المجهولة التسمية محل الابتسامة السعيدة لشعب مليء بالايمان . انهم هائمون على وجوههم ، امتهنهم المجهود الذي يبذلونه في خدمة امور خالية من كل معنى ، يخدمونها في غير حماسة ، وثيابهم مهلهلة ، تخلولق يوماً بعد يوم ، واياديهم الجميلة تهرم في وقت بالغ التبكير . ترحمهم السابلة وتمر عابرة من غير اكتراث ، وان كانوا مترددين ضعفاء ، وليس غير الكلاب الهيابة التي لا مأوى لها هي التي تتبعهم لحظة في صمت .

« انهم يسلمون الى جلادين عديدين ، وضربة كل ساعة تؤلمهم ، انهم يتسكعون ، وحدهم ، حول المستشفيات ، منتظرين ان يسمح لهم بالدخول جازعين مهمومين » .

اولئك المنبوذون ، الذين تخلت عنهم الحياة ، اولئك الفقراء المجلودون بسيـاط الحرمان ، اولئك الغرباء النفوس ، فيهم يقبع الموت ، « لا الموت الذي مسهم صوته المعجز ابان طفولتهم ، وانما الموت الصغير كما يفهم هناك » ، الموت المعلق في اعماقهم شبيهاً بثمرة فجة ، عفصة ، خضراء ، لن تنضج ابداً . هذا الموت الرهيب هو موتهم ، هذا الموت بالجملة الذي يصيب اولئك بلا تفريق وبطريقة آلية كأنه مصنع واحد .

اما الموت الآخر ، « الموت الكبير » فهو تلك الثمرة الكامنة في مركز الكل ، ولسنا نحن غير اللحاء ، غير الاوراق التي تغطيها ،

هو الموت الخاص بكل انسان ويتشكل وفقاً لجوهره :

« إلهي ! هب كلاً منا موته الخاص ، هبه الموت المتولد من حياته الخاصة ، التي عرف فيها الحب والشقاء .» لان كلاً منا انما يحيا لينمي ذلك الموت الخاص ، يتعهده بالسقيا والرعاية حتى يزهر ثم يثمر ثم ينضج ، فمن اجله تتفتح براعم العذارى ، ويحلم الاطفال بان يصبحوا رجالاً كباراً ومن اجله يعمل المراهقون يعملون من النسوة مواضع لسرهم ، سر جزعهم الذي لا يستطيع ان يتلقاه منهم احد غيرهن .. وفي هذه الثمرة يمكن ان تنفذ كل حرارة القلوب وبريق الافكار الرفاف » .

لكن هذا الموت ويا حسرتاه ! لا يظفر به احـد ، فقبل ان تنضج هذه الثمار تتنزل ملائكة الموت كأسراب من الطيور وتتخطف كل هذه الثمار وهي لا تزال فجة خضراء .

« الهي ! نحن اشقى من الدواب الشقية ، فهذه تكمل موتها الخاص حتى وهي عمياء . اواه ! هبنا القدرة والعلم حتى نضفر حياتنا كالعريش ، ويأتي الربيع حواليها في وقت مبكر . لان ما يجعل الموت غريباً رهيباً هو انه ليس النهاية اللائقة بنا ، وانما تلك الاخرى تلك التي تنقض علينا قبل ان يصبح موتنا الخاص ناضجاً فينا » .

نهاية تلك مبكرة ، تجعل موتنا بمثابة اجهاض ، فلا نلد على فراش الحشرجة الا ممسخاً ، ممسخا ميتاً ، ممسخاً لموتنا الحق ، لذا يخرج الجنين يلتوي بعضه على بعض كالحلزون ، يستر جفنيه بيديه وكأن شبحاً رهيباً يتهدده ، وعلى جبين هذا الممسخ الوليد ترتسم علائم الجزع من كل ما اصابه من عذاب .

فننتهي هكذا جميعاً ، مثلنا مثل فتيات ممزقـات البطون ، يمتن وهن يلدن » . تلكم هي اللغة التي حلت بانسـان المدينة الكبرى . افما لنا من خلاص؟

لا خلاص عند شاعرنا راكه الا بالضراعة والانابة الى الله حتى يخلق انساناً ولياً عظيماً يهبه الله ليلاً لا نهاية لعمقه ، يوغل فيه الى ابعد مما اوغل حتى الآن ، ليلاً تتفتح فيه كل البراعم ، وينتشر العطر الفاغم . وها هو ذا يدعو الله الى خلق ذلك الانسان ومنحه في النهاية تمام النضوج ، وجعله من السعة بحيث لا يكاد الكون كله يكفي ليكون له رداء ، والسماح له بان يكون وحيداً كالنجم حتى لا تفجأه اية نظرة في الساعة التي يتغير فيها وجهه . وليجعل زمان طفولته يبعث من جديد حياً في قلبه ، وليفتح له دنيا العجائب ، عجائب سنيه الاولى العامرة بالاحلام . ليدعه يسهر حتى الساعة التي يلد فيها موته الخاص ، موته الحق ، مليئاً بالاصداء كالروضة الغناء ،

او الرحالة العائد من سفر بعيد .

« الهنا ! دلنا على حقيقة الانسان :

الانسان الذي يحمل في نفسه موته الخاص ،

اهدنا الصراط الذي يقتاد اليه

ونجنا من الايدي الموزعة بهلاكه »

لكن ، لماذا كل هذا السخط على المدن الكبرى ؟

« لان المدن الكبرى عارية من كل حق وصدق

تزيف الليل وتفسد النهار

تحطم امل الطفل ، بل وحياة الدواب

في صمتها كذب وفي ضوضائهـا خداع

ولا شيء يربطها بعد بالحركة الشاملة

التي تدور الى الابد حول ذلك المركز الذى هو انت .

والارياح الممزقة عند ثنايا الدروب

تشتت ضجيجها الضخم وتمزقه همسات من الكراهية والحقد

فطوبى للارياح التي تتسلل لواذاً الى البساتين .

لان البساتين هيئت من اجل الملوك .

الذين تاهو فيها زمناً ،

تلهو بغادات يحتضن الازهار

على الصوت الساحر اضحكاتهن .

لقد كن يقظة هذه الحدائق اللاغبة

كن يغدن هامسات كزفرات النسيم في الخمائل ،

وكان لوسواس حرير ثيابهن ، ثياب الصباح ،

صوت على مخارف الحصى يحاكي خرير الجدول

اما الآن فالبساتين تبكي ذكراهن .

انها ترتدي اصباغاً زاهية حينما تأتي اربعة اخرى

وتحترق ببطء على لهب الخريف

خلال اغصانها المتعانقة

كأنها الارابسك المصنوعة من حديد الاسوار

وفي غور البساتين يتبدى قصر

مغمور في الرؤية الباطنة

لابهائه العامرة بصور الاجدار الثقيلة !

قصر لا يعبأ بشيء ، ولا يذكر شيئاً من حفلات الماضي ،

فيظل صامتاً صابراً كالضيف »

ولطالما حلم راكه بأمثال هذه القصور الفارغة في اعماق الغابات او الشريدة الوحيدة على قنن الجبال ، حتى عاش فيها وتحققت احلامه :

اولًا في قصر دوينو Duino حيث دعته صاحبته اميرة تورن وتاكسيس Prinzessin vonThurn und Taxis الى ذلك القصر العتيق المشرف على بحر الأدرياتي قرب فينيسيا فنعم فيه بجلال الوحشة وروعة الصمت الموحي الذي ينمو في ظلاله سخيّ الاحلام، ثم في قصر ميزو Muzot في اقليم الفاليس Wallis بجنوبي سويسرة حيث قضى ذلك المتوحد الشارد البقية الاخيرة من عمره القصير. اما القصور التي يراها في المدن الكبرى الآن فتدعو الى الحسرة اللهيفة:

« فهي تتباهى مختالة كالطواويس ذوات الريش المتفاخر، لكن لها صوتاً أجش رهيباً.
آه! الاغنياء كثير، وكبرياؤهم ضخمة.»

فما نفر رلكه من المدن الكبرى اشد التنفير اولئك الاغنياء العمالقة من كبار رجال الاعمال الذين يتبذخون ويستيطلون عجباً بما هم فيه من ثراء فاحش يكفي الانسان ان يحس بمقداره حتى يشعر بأن فيه التحدي والرغبة في المنازلة المستعلية. ورلكه الفقير الذي كان يحيا، آنذاك، حياة الطلاب الفقراء، كيف لا يستشعر بصولة هذا الثراء الجبار الذي يصفعه اينما ولى بصره في تلك المدن الكبرى! نعم في الريف غنى، وفي القرية ثراء من نوع آخر. انه الغنى الحق لانه ينطوي على معنى البذل الشامل والعطف المنتظم لكل ما حواليه. اغنياء المدن هم طغاة جبابرة لا يشعرون بأية صلة تربطهم بالوسط الذي يحيون فيه، بل هم فضوليون عليه، طفيليون مستأصلون، كل ما فعلوه ان امتصوا دماء الآخرين واكتنزوها في ابدانهم الكالحة، اما اغنياء الريف فالثراء ينبثق منهم وكأنه ينبثق من باطنهم ثم يفيض على الآخرين، انه انتشار وامتداد يحتضن الغير ويسري في عروق الآخرين، مثله مثل الشجرة الضخمة تمد اغصانها وترسل الظل الوريف يحتمي به اللاجئون اليها من لهب القيظ، قيظ الفقر.

اغنياء المدن غناهم من الخارج يأتي لينصب في مركز نفوسهم المليئة بالاثرية، اما اغنياء الريف فغناهم من الذات يخرج عنها باذلاً ما لديه فائضاً به على الغير في ايثار مجاني كريم. واغنياء الريف هم الاغنياء حقاً، ولهذا يصرح رلكه قائلاً:

«لكن (اولئك) الاغنياء ليسوا اغنياء..
انهم ليسو كأولئك الرعاة، رعاة تلك الشعوب
الرحالة التي تمر خلال السهول الخضر الناصعة
ومن خلفها اسراب مختلطة من قطعانها
مثلها مثل السحب التي تمر في سماء الصباح.
فان ضربوا خيامهم للمبيت في المساء
هنالك تهرع الروح الشاردة للسهول
وتتساوق الابل من بعيد
كأنها سلاسل من جبال.
انهم (اي اولئك الاغنياء، اغنياء المدن)
ليسوا كشيوخ القبائل في الصحراء
ممن يرقدون في الليل على بسط خلقة
لكنهم يصنعون حلياً من الياقوت اللامع
في الامشاط الفضية الخاصة بأفراسهم الاثيرة.
— انهم ليسو كأولئك الامراء شم الانوف
الذين كانوا يرون في الذهب شيئاً تافهاً لا
اغراء فيه ويقضون كل يوم من عمرهم في نشوة
بالعنبر واللوز والصندل
— انهم ليسوا كأرباب السفن
في المرافىء التجارية القديمة
ممن كانوا يحيطون انفسهم بروائع الفن العالي
وينجحون، بفضل الاصرار
والجلد طوال محياهم،
في ان يجعلوا من اهوائهم رائعة اشد جمالا
— انهم لا يشبهون اولئك الامجاد القدماء
الذين كانوا ينامون على خفقات خدودهم
البيض مدثرين بالدثار الذهبي، شعار مدنيتهم
كأنهم الاوراق في البراعم»

تلك الوان من الاغنياء الحقيقيين الذين كان غناهم نتيجة ضرورية لنبالة اصولهم وطهارة معدنهم، وفيهم نرى تغني رلكه بالنماذج الانسانية العليا في العهود العتيقة وفي العصور الوسطى ذات النبالة، وهو اذن لا يكره الغني لانه غني، بل يكره الغني لانه ليس غنياً حقاً، بذا يمجد الاغنياء حقاً:

«فأولئك كانوا اغنياء عندهم تدوم الحياة بغير نهاية، تدوم انسانية حبلى بالمعاني»

اما اغنياء اليوم، اغنيـاء الصناعة والتجارة، فأولئك اوليـاء الشيطان حقاً، ولهذا:

« فان زمان الاغنياء قد ولّى
وان يدعو امرؤ بعد عودتهم »

لهذا فان كل ما يتمناه الشاعر من الله هو:

«.. ان يجعل الفقراء يظلون فقراء»

بيد انهم ليسوا فقراء بالمعنى الوضيع:

«فقراء! كلا ليسوا فقراء، فما هم الا محرومون
من الخيرات الرئيسية
مُسلَمون للصدفة، لا حول لهم ولا ارادة.
ختم على قلوبهم بخاتم قلق لا يبلغ مداه التعبير
مجردون من كل شيء، حتى من معنى الفقر.
تراب المدن يثور لتدنيس وجوههم
وكل الاقذار تتعلق متشبثة بهم.
وسيفرقون متناثرين كالاشلاء.
انهم يخيفون كالمصابين بالطاعون
لكن لو شعرت الدنيا بثقل العذاب،
لحملت الفقراء على جبينها كأنهم اكليل من الورد
لان للفقراء صفاء الجوهر
وبراءة الدابة العمياء ساعة ان تولد،
وفي بساطتهم المليئة بك (يا الهي!) لا يرجون
الا ان يظلو فقراء كما هم في الحقيقة..
لان الفقر نور عظيم في اعماق الفؤاد..

عبد الرحمن بدوي

عندما غادرت القطار الذي اقلني الى محطة المواصلة . « مواصلة والفورد » لقيت عنتاً شديداً ، ذلك ان الريح كانت ريحاً عاصفة . وكان المطر ينهمر كأنه افواه القرب . فاسرعت الخطى التمس ملجأ يعصمني من الماء . وكدت اقع فوق متاع احد المسافرين . فالمصابيح كلها لا تكاد تضيء .

وبعد لحظة احسست اني قد بلغت الباب . فسمعت رجلا يقول : ان المدينة كلها قد غاب عنها الضوء مذ هبت العاصفة ليلة امس!

ثم نظرت فرأيت سيارتين من سيارات الاجرة قد تفضل صاحباهما فسلطا مصابيحهما على نوافذ المحطة فشاع الضوء في ارجائها . وهذا فضل منهما يستحق الشكر ويستأهل الثناء .

ثم اذا بي اجد جهازاً تلفونياً . والى جانبه « الدليل » فاستعنت بعود الثقاب ، وتحسست ارقام المشتركين بأبهامي حتى عثرت برقم صديقي « جون لارشر » ثم ادرت القرص فجاوبني صوت امرأة ، فكنت – وانا انصت اليه – كأني اسمع رنين اوتار عود . حلو النغمات .

فقلت للسيدة : إن المتكلم « جورج ويلكوكس » . فما ان سمعت اسمي حتى بادرت بترديد ذلك الاسم . فاستحال هذا اللفظ مجموعة انغام موسيقية حلوة .

ثم زادت فقالت : واخيراً سعدت بسماع صوتك ، اني انا « ريري » ولقد جاءتنا برقيتك ، وكنا في شوق الى لقائك منذ زمن بعيد . قلت : لقد تأخر بي القطار اربع ساعات . والآن انا هنا في المحطة ، ولا يزال عندي فترة من الوقت بين قطارين ، وان شئت الدقة فأن عندي خمسين دقيقة . فأن اذنت لي بالحضور امتطيت « سيارة » . وجئت أؤدي واجب الزيارة .

قالت : وكيف لا ! وانت في هذا المنعم المتفضل ، وانني لجد مشوقة للتعرف بك !

ولم تمض الا دقيقتان حتى رأيتني في طريقي الى بيت ذلك الصديق . ولقد كان نذراً علي وعلى زوجتي ان اذهب لارى « جون لارشر » و« ريري » .

وكانت البيوت في طريقي يغشاها ظلام دامس . الا بضعة بيوت متفرقة كانت تضيئها الشموع .

وقال السائق : انك لن تستطيع في هذه المدينة ان تحصل على شمعة . سواء بطريق الشراء . او بطريق الهبة .

ولكن التعلة برؤية « جون » بعد ذلك البعاد الطويل وبلقاء زوجته ، وبالكشف عن العالم الغريب الذي يعيش فيه هذان الزوجان ، قد انعش كامن احساسي . ولقد وعدت زوجتي بان اقدم لها تقريراً مفصلا .

فقد كنا نعمل – زوجتي وانا – في مكتب الجريدة بمدينة « نيويورك » يوم جاءنا نبأ زواج « لارشر » وقد مضى على ذلك قرابة عام .

وقد تولتنا الف نوبة ونوبة من العجب . ونحن نسائل انفسنا اي فتاة هي تلك الفتاة التي تزوجها « جون » .

وقد كان كلما جاء ذكرها في خطاباته وصفها بالجميلة وبالظريفة . وبالمليحة . وهي الصفات التي يصف بها الرجال المبصرون الذين يرون جمال حبيباتهم وملاحتهن رأي العين .

زوجة وفية

ترجمة مبارك ابراهيم

وهذا ما كان يملؤنا دهشة ، ذلك لان « جون لارشر » كان اعمى . فقد فقد بصره ايام الحرب . ولم يلتق « بريري » الا بعد سنتين من فقده بصره . وكان ذلك يوم ذهب الى المدينة « درهام » ليشتري صحيفته الاسبوعية .

ومن ثم عرفنا انه لم ير زوجته من قبل ابداً فهي اذاً جزء من ذلك الظلام الابدي الذي احاط به . وعلى الرغم من هذا فقد كان يتحدث عن جمالها حديث الواثق الذي شاعت الغبطة في جوانب نفسه . فكيف استطاع « جون » ان يعرف هذا ؟

ولم البث الا قليلا حتى صاح السائق يقول : ها نحن قد وصلنا وسوف انهيك بزمارتي في الساعة التاسعة الا ربعاً . ثم جريت انتهب الخطى الى بيت صاحبي . فجاء « جون لارشر » بنفسه يفتح الباب . . ثم وقفت لحظة تشيعني اشعة مصابيح السيارة حتى بلغت الردهة . وعندئذ حييته تحية ضاحكة ، وربت كلانا كتف صاحبه ، وهز كلانا يد صديقه في فرح بالغ . واذا رأيتنا ساعتئذ حسبتنا اطفالا نلهو ونلعب . ونعود بذاكرتنا الى الايام الخالية . ايام صحيفة « باريس هرالد » حيث قضينا معاً سبع سنوات .



ثم اقفل « جون » الباب ، واخذ معطفي وعلقه فوق مشجب ، ثم قادني بذراعي وهو يمشي بي مسرعاً في ظلمة الليل . فأيقنت انه اعتاد السير في الظلمتين : ظلمة الليل ، وظلمة فقد البصر . وتبينت انني انا الاعمى في تلك اللحظة وليس هو . ثم وقف بي واجلسني على كرسي كدت اتعثر بها . ولم استطع انا رؤية « ريري » عندما جاءت الي حيث كنا ولكنني سمعت صوتها وسمعت وقع اقدامها وسمعت حفيف ثوبها وسمعت ريح زهرة تضوع من اردانها .

ثم طفقت يدي تتلمس طريق يدها حتى التقت اليدان فشدت هي على يدي مرحبة بقدومي . وقالت : لقد كنت جد مشوقة للقائك يا جورج! وطالما تحدث « جون » عنـك وعن زوجتك وكان صوتها لطيفاً نديا .

فأجبتها : ان لقاءك يا سيدتي كان منتهى مـا اصبو اليه في رحلتي هذه . فقد كانت احاديث « جون » في خطاباته عنك مدائح تستحق ان تغنى وتنشد .

فضحكت « ريري » ضحكاً مبعثه القلب ، وحاولت – ما وسعني الجهد – ان اراها في الظلام محركاً رأسي ذات اليمين وذات الشمال ، فلم اتبين منها الا صورة لا تكاد تبين .

ثم قالت : وددت لو استطعت ان احييك بشمعة يا جورج ولكنني قد استهلكت آخر شمعة عندي في المطبخ .

ثم قال «جون» : انك يا صاحبي من شاربي الويسكي مع الصودا . وهناك احدى الزجاجات على آخر منضدة على يمين هذا الكرسي .

ثم جلسنا كانا في الظلام . ثم جئت بالشراب وظللنا هنيهة نتحدث عن اشياء كان علينا ان نطيل القول فيها . فقلت لها كيف اني كنت في انجلترا في مهمة سياسية . وظللت طوال الوقت اسائل نفسي الى اي مدى استطيع رؤية «ريري» لو اشعلت عود ثقاب . واذا بي اعثر في جيب من جيوبي على علبة من عيدان الثقاب . ثم سألت « ريري » – والامل يعاوني – ان كانت تريد ان تدخن ، فرفضت وهي ضاحكة .

وعلى الرغم مما بذلته من محاولة وجهـد لم استطع – وانا استضيء بعود الثقاب – ان ارى وجهها .

وحدثني « جون » حديث صحيفته فقال : انها استنفدت منه كل ما كان له من راتب متأخر وكل ما كان عنده من مال مدخر ، بل كل مال استطاع ان يقترضه .

ولكنها بدأت تعود عليـه ببعض الكسب وتعوضه بعض الخسارة . والحق ان « ريري » هي التي تعنى بشؤون الصحيفة الآن . قالت « ريري » في لهجة فيها عتب وفيها حنان وحب : هذا قول

هراء وسخف . بل انت يا حبيبي صاحب الصحيفة والقائم على تنظيمها وتجديدها .

قال الزوج : بل ان « ريري » هي عيناي اللتان انظر بهما . وكيف استطيع ان اعمل بغير عينين ثم اتبع هذا القول بضحكة هادئة .

وكان اذا تحدث عن عمى عينيه . لا يحدثك عن مصيبة حلت به وكذلك كان حديث زوجته .

ويبدو انهما قد تلقيا المصيبة ، وكأن طعمها ليس مراً . بل كأنها لون من الوان حياتهما .

وصح عندي ان « ريري » كانت تعمل في تلك الصحيفة (واسمها والفورد ويكلي داجل) يوم اشتراها زوجها ثم استمرت تعمل عملها . ثم اذا هي تقول – في ضحكة ناعمة – : بالطبع لقد احببت زوجي بل ان شئت فقل لقد احببت رئيسي منذ البداية .

وبدا لي من امتزاج صوتيهما وتقاربهما انها لا بد كانت جالسة على ذراع الكرسي الذي كان يجلس عليه زوجها .

وحدثتني « ريري » فقالت كيف كانا يعملان ، وكيف كان « جون » مشغوفاً بان يتتبع احداث العالم وان يمشي في ركاب تلك الحوادث .

واضافت الى ذلك قولها : اني اتلقى كل يوم ستاً من صحف المدينة الكبرى . وانا اقرؤها كلها لزوجي ثم هو يستمع – بالطبع – الى الراديو . وقد خصصنا امسيات كل يوم لقراءة المجلات والكتب .

وفي اصيل كل يوم يملي علي ما يريد املاءه . واتولى انا كتابة ما يمليه على الالة الكاتبة .

ثم قالت : واني انصح لك يا جورج ان تقرأ مقالاته الافتتاحية فأنها – في الحق – اشياء يجب ان تقرأ . فقد ايقظ بمقالاته وعي القوم في هذه المدينة واني لاشعر بفخر هو كل يوم في ازدياد .

ثم ظللنا نتحدث نصف ساعة وقد تبينت من اثناء حديثها العذب مقدار برها بزوجها وحبها له وحدبها عليه واحسست انها زوجة وفية فيها كرم وفيها سخاء ، وقد فهمت زوجها فأحسنت الفهم .

ثم تبينت انا من حديث الزوج . . انه يبادل زوجته الرضا والثقة ، وكأن فخرها به قد اشاع فيه دفء الكبرياء .

ثم سمعت زمـارة التاكسي قبل ان اكون متأهباً مستعداً . ولكنها الساعة . . . وقد بلغت التاسعة الا ربعاً .

ونهضنا جميعاً وقالت « ريري » : لقد اصبح واجباً مفروضاً عليك ان تزورنا مرة اخرى « يا جورج » على ان تكون الزيارة في

– البقية في صفحة ٦٠ –



الطفسيا لساندوز

ساندوز

بقلم المعلم اميل شوب - كوخ   ترجمة نبيه صفر

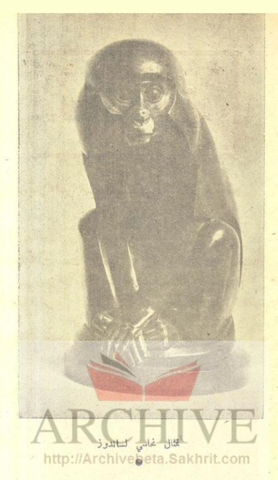
بعدان طالعت مجلة الاديب في عددها الفائت ببحث عن المصور منترن تقدم اليوم لقرائها درساً لم ينشر بعد ارسله اليها من سويسرا المعلم الاشهر اميل شوب – كوخ عن «النحات المتقن الهائل» ساندوز.

***

من الطبيعي جداً – حين نرى فناناً من هذا الطراز خصباً في جهده السليم، المكين، لا يتكرر في انتاجه بل ينوع مظاهر عبقريته – ان نحس ذلك منه اثباتاً لقدره الذي يعترف له به الجميع، اما حين يهيء كل يوم لمقدرته الخلاقة تعابير جديدة وصيغاً يحققها بالسرعة التي يتخيلها بها، وان يتتبعها صعداً في شتى سبلها فهناك تستقر المعجزة. ان الجهد لا يكفي وحده لمثل هذا العمل بل يقتضي له موهبة خارقة ربما لم تكن شيئاً آخر سوى العبقرية المطبقة. ان الذي يدهش حقاً عند ساندوز هو ان هذا المتقن الهائل ليس له تقنية مقررة، سابقة، بل تذعن له جميع التقنيات فيؤلف منها جميعها وحدة منسجمة. ان ساندوز بحاثة، مختبر، وابن ابحاثه الخاصة. اي عجب في ان يبني رجل كهذا عالماً من المواد الاشد صلابة والاكثر ندوراً وتشويقاً، او في ان ينحت المرمر والبلور ويقطع اليشب ويصهر البرونز؟ اي عجب في ان يلجأ الى جميع انواع الصيغ ليحقق عمله هذا الواسع، المتنوع. ليس العجب هو الذي يستبد بنا في الامر بل الدهش، لان هذه الظاهرة ربما كانت هي الفريدة من نوعها. من المحقق ان الفنانين يظهرون في عصرنا هذا انحرافاً متزايداً الى التخصص، سواء أكان هذا التخصص في المواضيع، ام في التقنيات، ام في المواد المعالجة. لما عرض بومبون، هذا العبقري الآخر في نحت تماثيل الحيوانات، تمثالاً نصفياً رائعاً لاحد اصدقائه هتف ناقده منذهلاً: «كيف يمكن لهذا الرجل الذي ينحت تماثيل للحيوانات ان ينحت تماثيل بشرية؟ عد يا بومبون الى ادبابك وطيورك!» واغرب من ذلك ما فرضه هذا الناقد على النحاتة حنه بوبله، فقد الزمها بان تختار بين تمثيل الجسم النسائي وبين تمثيل الحيوان، وقد كانت تجيد التمثيلين على السواء. واليوم يذهب فنانونا الى ابعد من ذلك، فربما ادعى احد نحاتي تماثيل الحيوانات الحق باحتكار التماسيح والسلاحف. فاي مثل صالح يقدمه لنا ساندوز وليس بممارسته جميع المواضيع والتقنيات فقط وبنجاحه في كل ذلك كرب صناعة. لقد بث ساندوز الحياة في فن كوني، شامل، غير مقتصر على رؤيا او نوع او مادة او



الطروب



تمثال نحاسي لساندوز

موضوع ، وهذا ما يفرض فنه علينا بادىء ذي بدء ، فليس فن ساندوز نوعاً من دائرة معارف نحتية فحسب بل لا نستطيع ان نبخل عليه بصفة الشمول ، ففنه يمت بصلة وثقى الى فن تيتان ولا ينحط فيه العامل قيمة عن العبقري الخلاق .

لقد فهم ساندوز ان عبقرية رودان لم يكن ممكناً ان تكون الافريدة ، وان التأثرية النحتية لم يكن يتاح لها ان توجد الا بواسطة رودان ، وان الاثر الذي سيتركه هذا المعلم من الرودينية لن يلبث ان ينهار بعد موته . وهذا ما حدث تماماً . لم ينتظر بوردل ولا اريستيد مايول موت رودان لكي يتحررا ، وليس من الاعجاب به او من تبجيله ، بل من سيطرته . لقد كانت هذه السيطرة مروعة ، هائلة ولما رأى ساندوز الى اين انتهت هذه السيطرة ببعض المثالين لم يشأ هو احراج موقفه ولا تبديل معسكره بل تجنب كل عدوى وبصره شاخص الى الحمى الرودينية . وقد اعلن بوردل ومايول انهما سوف يجمدان النحتية وهذا ما يعني باللغة المجازية ، انهما ارادا ان يقرأ فنهما في توازن الهندسة العالية . نحن نعرف من ساندوز ، فيما نعرفه ، تماثيل كلاب صيد لا ينقصها شيء من دينامية رودان . ان عبقرية ساندوز البناءة تتعشق درس ما تعالج وتولع بالانسجامات السامية والابحاث العلمية وبالتصاميم المنطقية غير المنتظرة وبالهندسات البديهية الاخاذة . ويلاحظ القراء ان الامثلة الاربعة التي نعرضها لهم اليوم تختلف اختلافاً كلياً بعضها عن بعض ، غير ان كلاً منها يدل على نزعات فنه الخاص ، هذا الفن الذي بحثناه في موضع آخر بحثاً مسهباً ؛ وتشهد هذه الامثلة في مجموعها على موهبة متزنة تملك اقصى وسائلها ويقبض الفنان فيها على ناصية فنه . لننظر مثلاً ، الى تمثال هلفيسيا هذه الرائعة الفنية الدقيقة الوضع ، بالرغم من ان الطريقة الكلاسيكية تلجأ في مثل هذا الموقف الحالف العري بستار شفاف واخضاعه لخصائص تقليدية ، نرى ان ساندوز قد رمى بهذه الطريقة جانباً وحاول ان يجعل من تمثاله رمزاً بطولياً مجسماً لوطنه فنظر الى عمله نظرة الفنان الكبير ، الصافي . اما هذا الرمز فقد صبه في قالب

امرأة فتية تتجلى امامنا بفخامة واعتزاز في عري عفيف ، شامخ ، دقيق الخطوط بفعل مهارة ونقاوة شعور الفنـان الساحرتين . ان الذين يفهمون الفن بجميع امكانياته ان يتساءلوا كيف امكن ساندوز ان يسبغ على هذا العري الحقيقي ، البليغ ، غمراً من الجمال البكر والاشعاع الروحي ، لان الجواب ، بالرغم من دعـارته ، لا يقبل الاعتراض اذ انه يبرهن على ان حشمة العري لا تتوقف على اخفاء بعض المواضع فيه بل على طريقة تحقيقه . ليس ما تخشى عاقبته هو اظهار الجمال عارياً بل القصد الملتوي من هذا الاظهار وذلك عندما يسلك الفنان الى تحقيق قصده هذا طريق توضيح الخطوط الحقيقية، الحية . اما ملامح تمثال هلفيسيا فانها تمت بصلة الى الخطوط المثالية وتتحرر فيها المواصل والمفاصل من النفور الطبيعي وقد افرغت في مدارات ملساء مع بعض النواتىء التي لا مفر منها . بهذه الوسيلة استطاع كانوفا ان يمر اوعر مشاريعه بطابع مثالي . اما ساندوز فيذهب الى ابعد من ذلك فهو يرفع التعبير عن العري الى الدرجة الروحية ويحصره في فكرة اللطف المقترن بالصحة . يقف عن يسار القاعدة الى جانب هذا الرمز النسائي الجالس وعلان متحاذيان يذكران بجبال الالب وهذا الاثر هو اجل الآثار التي اتحفنا بها ساندوز ولا يقع تحت تأثير ابتذال الموضوع الكلاسيكي بل هو بهاء صاف لا تنميق فيه تحيط به هالة من هذا التعبير الروحي المهيمن الذي يجسد فكرة الوطن .

كنا تحدثنا سابقاً عن الامكانيات العظيمة التي يستخرجها ساندوز من احدى المواد التي تحلو له معالجتها وهي الرخام الاسود لا تمالك العين التي الفت الرخام الابيض والهونز من ان تعجب بالمعنى الرزين الذي يكنه تمثال قاتم حيث يذر النور مشحاته المضاءة بينما هي لا ترى في الرخام الابيض ، بادىء ذي بدء ، الا طـلائع الظلال . يخلق هذا الاحساس غير المنتظر حياة فياضة ، نتزع نحن الى تعليق شيء مما فوق الطبيعة عليها وذلك لعدم الفتنا اياها . هذا ما حققه هنا الفنان في التمثال النصفي الطروب الذي يخال لنا انه رأس شيطان غابات مع انه لا شيء يصله به . هو بشري في انفجار فرحه بالحياة ، هـذا الفرح المنبجس من قطعة الصخر ، جرياً على الطريقة التي الفها رودان . ان هذه الوسيلة تلقي عـلى الاثر الفني شيئاً من البديهية الفطرية . فاذا كان رأس شيطان الغابات هذا ليس سوى تمثال نصفي لرجل فان الدلالة التي يدلي بها على نهم التمتع بالحياة لا تبتعد عن ان تكون صفة من صفات ذلك الشيطان المرح . هنا يلجأ ساندوز الى وسائل تناقض وسائله في هلفيسيا ويبلغ الى التعبير عن موضوعه ان لم يكن عن طريق غرابة الخطوط فعـلى الاقل بواسطة النشوء العميق الذي يقوم مقامها . فالانسان والجني الماعز ينتميان كلاهما هنا الى الحيوان في الفرح بالوجود وفي رد الفعل الاولي ، الفطري ، امام النور وفتون الحيـاة المتشعب ، القوي لم يكن يمكن ساندوز ألا يكون ذلك المعبر الخـارق وهو البسيكولوجي والفيزيولوجي البارع والفنان الفني بعلمه الاتقـاني .

البرابيع



ان ما يؤثر عنده ليس نتيجة لتحوير في الشكل بل لمفاجأة الحقيقة، على غرار ميكلانج، وهي في اقصى حالاتها النفسية بدون اللجوء الى تحوير شكلها.

يعود بنا تمثال المرأة الجاثية الى المثال البرونزي. يدخل البرونز تماماً في اتقانية الطلاء، ونحن نعلم ان ساندوز يحذق هذه الطريقة فلا يقتصر في معالجة البرونز، كما في معالجة الرخام، على تقدير نتائج الانوار والظلال في التمثال المغمور بفيض من الضياء بل يدخل المادة ذاتها في التأثير بحسب الكيفية التي تعالج او تطلى بها. اننا نجهل طلاآت الاقدمين الذين وصلت الينا تماثيلهم عند ما تكون تلك التماثيل المغطاة بالطلاء من البرونز الصدىء. ونحن نهتم بالمطلين الاقدمين خاصة لان عباقرة النهضة الايطالية اخذوا عنهم من غير ان يطلبوا الى فيدياس وميرون وبراكسيل ميثاق اتقانيتهم، اذ انهم فسروا هم كل شيء. حتى ان بعض صفحات من فازاري وميكيلانج وليورنار دي فنشي لا تترك اي شك في ذلك وقد وقف احدهم خاصة



قارورة الحياة

الخطوط، المصبوب في برونز دقيق لا توزع الشمس ضوءها الا بالمقدار الذي اتاحه الطالي للمثال، لان ما يجب تحاشيه هو فيض ضوء النهار كاملاً وبصورة متساوية. اما هنا فالضوء ينير التمثال بشحنات فسيحة مشرقة تتعاكس تأثيراتها كما يشاء الفنان، بفعل عمق تفكيره وحذقه معاً في جميع اظهاراته بدون استثناء البرونز وانواع طلائه. اما الاثر الرابع الذي نتحدث عنه هنا فهو صفحة جديدة اضافها فناننا الى هذا القسم المعظم من تماثيله الحيوانية الذي هو القسم الاضخم من آثاره. هو لا يكتفي بالدلالة على اوصاف الحيوان بل يدرسه في خصاله ويفسره تفسيراً شعرياً ويضعه في مكانه الطبيعي. يعرض ساندوز امامنا بشعور أخاذ من الحقيقة عائلة يرابيع يستسلم سبعة من اعضائها الى تقارير مختلفة امام انظار الثامن الذي يخيل لنا انه رئيس القبيلة وهو قابع فوق مرتفع من الصخر. لا تنحصر قيمة هذا الاثر في تحقيقه الكامل، العميق المغزى، بل تتسرب ايضاً من الصيغ الجديدة التي توحيها الينا هذه الحيوانات

على مختلف تكسر الاشعة الشمسية فوق البرونز، تبعاً لطريقة معالجته، وهو بنفانيوتو شلليني المثال البرونزي الاكبر اذ كنا لا نستطيع ان نثبت كونه اب هذه الصناعة فالجميع يعترفون بانه المعلم الاكبر في فن طلاء البرونز، هذا الفن الذي ادرك ساندوز ادق اسراره.

ان تمثال هذه المرأة الجاثية الذي عالجه ساندوز بالفسحات الملساء، اي بالطريقة التي لم يكن يستعملها سوى نحاتي الرخام، تدلنا على ان ساندوز اراد بهذه المحاولة ان يثبت لنا انه اقدر طال في عصره. على هذا العري القليل النتوء، والمقتصر فيه على انسجام

الفضولية والغريبة الاطوار. لقد قل من يجهل الصور المدهشة التي اخذها هذا الفنان عن الحيوانات المختلفة التي الفها ككلاب الصيد والضفادع والطيور والاسماك والسباع على انواعها وكيف حقق من هذه الصور روائعه الخالدة، وها هو اليوم يتحفنا بهذا الاثر الذي مثل به اليرابيع وهو صفحة لا تقل بلاغة عن سابقاتها وتبرهن بجلاء على خصب نحات التماثيل الحيوانية في فناننا العبقري فضلاً عن شتى التماثيل الاخرى التي اظهر فيها نبوغه.

ترجمة : نبيه صفر

أبشر ، ولا تعبس

مهداة الى الآنسة نور حسن مياس

بقلم وديع فلسطين

عرض

لي في قراءاتي كتاب نفيس اصدره كاتب اميركي اسمه لويس بيتش Louis E. Bisch اتخذ له عنواناً « أبشر فانك منحرف الخلق »[1] . والكتاب من ألفه الى يائه دعوة الى البشر ، وحث على التفاؤل ، وادخال للطمأنينة على نفوس الذين اصابتهم الطبيعة بشذوذ او انحراف جاوز تأثيره الناحية الفسيولوجية وامتد نطاقه الى ناحية العقل والنفس .

والمؤلف طبيب نفسي ، عمل في معالجة كثيرين ممن طرأ على سلوكهم العقلي اضطراب او خلل ، ولذلك يقام لرأيه وزن ايما وزن ، وتحترم كلماته احتراماً هو اهلٌ له . وسأحاول في هذه الكلمة ان ابسط جانباً من الشؤون التي تعرّض لها الباحث متوخياً الايجاز ما استطعت .

هناك خمس نصائح يزجيها الدكتور بيتش لقرائه : — حللوا انفسكم . — كفّوا عن الشعور بالملامة والذنب . — أشعلوا الحمية في ذواتكم . — احيلوا نقائصكم الى ذخائر يُعتزّ بها . — انتفعوا بانحراف خلقكم ثم أبشروا ولا تتجهموا .

وهي وصايا مطبوعة بطابع الحديث الودي المجرد من كل تكلف واصطناع ، وفي السير بهديها وقاء من عثرات النفس ، وشفاء من منغصات الحياة . اتبعوا هذه الوصايا اليسيرة ، تذكروها ليل نهار ، وانقشوها اذا امكن في داخل قبعاتكم ، يسعدكم الحال ، وترتاح النفس من اضطراباتها .

— أبكَ نقص او قصور ؟ عالجه بالجدّ والدأب ، فبهما تستطيع ان تذلل كل ما يعترض حياتك من علل : تذكّر ان فتاة عشقت الرقص ، وودت لو استطاعت ان تصرف ساعات يومها متنقلة من ذراع الى ذراع ، ولكن عرَجها حال دون ذلك . فما كان منها الا ان عوضت هذا القصور بأن دربت نفسها على ممارسة العزف على البيان ، وسرعان ما اصبحت مبرّزة في اللعب على اوتاره لا يجاريها فيه احد . وهكذا استطاعت ان تنفس عن نفسها ، وان تنسى العلة التي طالما عرّضتها لزراية ، وان تكون قبلة انظار الراقصين في حلبات الرقص يأتمرون بأمرها ان عزفت ، ويصدّون عن هواياتهم اذا كفت .

(١) اسمى المؤلف كتابه Be Glad You're Neurotic ، وآثرت ان أصف كلمة Neurotic بانحراف الخلق لان هذا هو المعنى المستقى من سياق كلام المؤلف ، ولان كلمة « المعصوب » التي ابتدعتها مدرسة علم النفس لم تغد مألوفة مشاعة بعد .

تذكر هيلين كيلر ، تلك الفتاة التي حرمتها الطبيعة من البصر والسمع والنطق ، ولكنها مع ذلك تعلمت القراءة والكتابة فكانت بدعاً في حياتها ، وكانت انموذجاً لما تستطيعه العزيمة الصادقة اذا ارادت تسنم قنة المستحيل[2] .

تذكر فرنكلن روزفلت الذي اقعده شلل الاطفال في صدر حياته ، ولكنه أبى الا ان يصارعه فيصرعه ، واستطاع وهو قعيد داره ان يدير اكبر حرب عرفتها الدنيا ، وان يحقق فيها ظفراً كبيراً . فقد اخرج اميركا من عزلتها وساق ابناءها الى الحرب مع انهم كانوا عنها عازفين ، وعرف كيف يسوس امة كبيرة اكثر من عشر سنوات سياسة حكيمة حازمة .

تذكر سبينوزا وروسو وجولد سميث ومارك توين واوجين أونيل فهؤلاء جميعاً اصابتهم الوان من علل النفس والبدن ، ولكنهم قدروا على مغالبتها وتعويض نقائصهم بفضائل خلدت اسماءهم في سجلات التاريخ .

ان القدرة على التعويض ، بل على المبالغة فيه ، تجعل الضعيف قوياً ، والقاصر مقتدراً ، والمستضعف مستعلياً ، والخائف مقداماً ، والمريض صحيحاً ، واليائس مفعماً بالامل . . . انها تجعل منحرف الخلق سعيداً مقبلاً على الدنيا مستبشراً . فكل نقيصة تصيب المرء ، انما تضمر له تحدياً ، تتحداه ان يقضي عليها ويلافي اسبابها ، ووسيلته الى تحقيق ذلك هي التعويض .

— أتكره نفسك وتمقتها ؟ لا عجب ، فانت اعدى اعداء نفسك حتى وان كنت جاعلاً من نفسك محوراً لحياتك . فانت تفرط في الشراب ، وتسرف في التدخين ، وتهجع في فراشك متأخراً ظناً

(٢) قد لا يصدر هذا العدد الا وتكون هيلين كيلر زائرة للشرق الاوسط .

منك ان هذه تحجب عليك لذاذات ، ولكنك متى استيقظت ادركت ما انت فيه من خمول ووهن ، وعرفت حقيقة كانت عنك مجهولة ، فمن هو الملوم عما اصابك؟؟ ومن هو الذي افضى بك الى حالتك تلك ؟ الجواب هو: أنا ، انا ، انا . . . وهنا تبدأ في كره نفسك والنقمة عليها .

وليس افعل في تحريض المرء على نفسه من تلك الافكار الجنسية السود ، وتلك الممارسات السرية الجنسية التي تجعل آلافاً — بدافع من الجهالة — يمقتون انفسهم ويخجلون من ذواتهم فضلاً عن استحيائهم من الآخرين .

ومهما تكن كراهتك لنفسك ، ففي وسعك بشيء من التبصر وغير قليل من الفطنة ان تتأمل ذاتك فترى الى جانب نقائصك فضائل كثيرة ترجحها ، وترى ممكنات اذا استغلت احالتك من موغل في الملامة الى معتدل في تقدير قدر نفسك .

— أمقدّر انت لاخطائك ؟ ان عجزت فانت والبهيمة سواء . فالخطأ يترتب عليه شعور بالحياء مما يفضي الى الشعور بالضعة والنقص . ولكن تعلّم كيف تنتفع بأخطائك انتفاعاً انشائياً ولا تجعل منها عنصر هدم في حياتك وعامل تقويض في دعائم خلقك .

ويقول الدكتور بيتش ان ديونة النفس هي العنصر الذي يسبق معظم ما يطرأ على المرء من اعراض انحراف الخلق ، وهي العلة الاساسية للمبالغة في اظهار العاطفة ، وهي العامل الذي يترتب عليه القنوط والسخط والشك ثم الاخفاق . فلا تجعل من نفسك قاضياً ديّاناً يعنّف في غير رحمة ولا اشفاق ، ويعذّب النفس لذنب ربما اقترف عن غير قصد . واذكر ان الفتاة في اول نضجها تردي نفسها لا لشيء . الا لاعتقادها ان الطمث جريمة تستحق عليها تعذيب النفس .

ومن اسف ان موضوع « الجنس » لا يزال حتى في المجتمع المتحضر يذكر مقترناً باعتقاد خاطىء . هو « الجرم » ولو عرف الناس ولا سيما الفتيات والصبية ، ان هذا الظن معيب ، وان الدنيا افسحت مجالاً لهذه العاطفة ، لكانوا ارأف على انفسهم واكثر شفقة في كيل التهم لها .

فادرك خطأك ، ولكن لا تمكنه من ان يتطور الى ديونة للنفس يتلوها شعور بالحياء ثم شعور بالضعة .

— اتحسب ان سن اليأس مقتصرة على النساء ؟ كلا ، فالرجال كذلك يعرفون اليأس ، ويجتازون مراحل تحول وتطور تُرهب كثيرين منهم . فالذين يشغلون انفسهم بالتفكير في الخاتمة والنهاية المحتومة انما يوطئون للخلل العقلي ان يصيب منهم مقتلاً ، والذين يفكرون في المستقبل كثيراً يشط بهم الذهن الى حيث لا تصبح حياتهم في مأمن من العطب .

هاك رجلاً يدير ادارة صناعية كبيرة ، ويكسب في العام ما لا يقل عن خمسين ألف دولار ، ويشتعل رأسه ذكاء وألمعية ، وترمقه العيون جميعاً مقدرة ما أحرزه في عمله من نجاح وتبريز . بل ان الحكومة الاميركية ما فتئت تدعوه في خلال الحرب العالمية الاولى لتطلب مشورته وتستفتيه في ما يستغلق عليها من مشكلات . وكانت له شخصية قوية اكتسبها من قامته المشدودة الممشوقة وعضلاته القوية المفتولة ، وثقته الشديدة بنفسه . ولكن ، وعلى حين فجأة ، رأينا الرجل يتحول من النقيض الى النقيض ، فقد روت عنه زوجه ان طارئاً أقض عليه مضجعه ، فغدا يشكو صداعاً مستمراً ، ويشكو زيغ بصره ، ويطلب النوم فلا يناله . كان قبلاً يحب الاطفال ، ويجالس حفيديه يلاعبهما ويداعبهما ولكنه انقلب كارهاً للاطفال زاهداً في حفيديه . اما صبره ، فقد فقده ، واما عمله ، فقد اعتراه خمول حتى بات على الدوام ينازع موظفيه ويحاجهم باللهجة الشديدة ، واما شعوره تجاه نفسه فهو شعور الراغب في القضاء عليها والتخلص من الدنيا .

ولما عرض امر هذا الرجل على الطبيب العقلي ، قال ان الطارىء الوحيد هو الاسراف في التفكير والاسراف في القلق على المستقبل . ولو مضى الرجل في عمله لا يسأل نفسه كم من السن بلغ ، وكم من الاحفاد انجب ، وكم من السنين يعيش ، وكم من النساء يحب ، لعاش حياة هنيئة لا يعكر صفوها معكر .

وينصح الدكتور بيتش قراءه بأن يكونوا انفسهم ، فلا يقلدون احداً ولا يحاولون ان يضعوا انفسهم في ظروف الآخرين . كفوا عن الاهتمام بما يفكر فيه الآخرون ، وحرروا انفسكم من تلك العقائد الراسخة البالية التي ورثتموها من الجيل السالف ورسبت في اذهانكم منذ الطفولة . كونوا راشدين ، وقفوا على اقدامكم ولا تحاولوا يوم تبلغون سناً متقدمة ان تلبسوا ما كنتم تلبسونه يوم كنتم في سن المراهقة او ان تتصرفوا مثل ذلك التصرف . فليدرب كل واحد نفسه على الاستقلال بلون خاص من الزي يجعل منه جزءاً مكملاً لشخصيته ، وهكذا يستطيع المرء ان يجتنب العلل العقلية .

ان كتاب « أبشر ، فانك منحرف الخلق » كتاب يدخل السكينة على نفس المرء ، ويعزي اولئك الذين يحسبون انفسهم منحرفين الى ضلال مبين . والكتاب حديث من النفس الى النفس ، ومن القلب الى القلب وهو معنيّ بوجه خاص بالمنحى العملي التجريبي ، نزّاع الى استقاء الحقائق من الحياة اليومية المألوفة . ولذلك يعد تحفة رائعة ، وقُنية فاخرة لمن اراد ان يختار الجليس المفيد .

القاهرة — وديع فلسطين

من المساء الاخير

●

الناس يحسبونني لا اعرف الرسم ،
وما يدرون انني دائماً ارسم .

حين كنت اجلس الى جوارها كنت كثيراً ما امسك قلماً واعبث به على ورقة من اوراقها البيضاء ، وفي نهـاية الجلسة تسألني : ما هذه الرسوم ؟ فأجيبها : لست ادري .

وحين كنت في وحدتي استعيد صورتها ، كنت امسك القلم محاولاً ان ارسم وجهها فتخرج صورة ما قصدت اليها ابداً ، لهذا انجح هنا فقط في تمزيق ما فعلت بغير ان اريه لها .

وكثيراً ما امسكت قلمي محاولاً ان اعبر به في خطوط وزوايا، في صور لانواع من الحيوان لم يرها احد في حياته ، في ملء بياض الورق بسواد كثيف كثيف ، اعبر به عن احـاسيس غامضة تجيش في نفسي اكاد لا افهمها كما لا افهم ما ارسم .

ان سلتي قد امتلأت بهذه الاوراق ذات الرسوم الغريبة ، وانـني لارسم في ارتياح، في حرية ، وفي متعة ايضاً .

لهـذا فانني ارسم ، ودائماً ارسم ،
وسأظل ارسم .

***

عندما يستحيل الحـلم الى جنون ،
ينتصب تمثال اسود داخل الروح ، وتهتز فجأة شطئان بلورية تطوف بها جمـاجم الاحياء ، وتمتد تحتها — في الجدار عنيف — بجار متسعة من الجليد .

وتستيقظ العطور والضحكات ،
وتتفتح الكهوف الخرافية بعدما تكون الكنوز قد ضاعت ، فتزدحم الغابات بنهود من نحاس ، وتتصلب الشفاه وهي تبتسم ، وتسمع اصوات القبل آتية خلال النعاس .

ويقف ظل امام ظل ،
وتغادر الفلول الميدان ، ويسمع في السراديب السحرية قرع الطبول ، وتبدأ معركة بين الاشلاء ، من اجل الحصول على ذراع او ساق .

ويحترق الهمس في الهدير ،
وتنداح دوائر في المياه ، من مكان غير معروف ، قاصدة في سفرها المرتعش المعتوه التقاء اللانهاية بالعدم .

***

مضى يعدو مجنوناً
في طريقه الى الحلم الذي ضاع ،
وتحته هوات غير منظورة
ظلماتها المفزعة تغريه بالارتقاء .
وبدت من خلال القضبان
وجوه من الشمع
وظلال من الآبنوس
تتحرك في الفراغ
وحدقت عيونه الزجاجية
وتقاصت شفتاه
آه ما ارهب الماضي بغير ابتسامات
ثم مضى يحطم الحلم الذي ضاع .

***

فجأة بين الخراب
تنبثق الالوان الخضراء في كل مكان
وتتلاشى الاطـلال التي كانت قد ضخمتها الظلال والاوهام .
احذر لئلا تكون المعجزة وهماً من هاته الاوهام ،
وارقب بنفسك الظلال وهي تستحيل الى اضواء ،
والمس بجسدك الاضواء والالوان .
ثم ابدأ رقصك العربيد النشوان ،
مع الاضواء ، مع الالوان ، مع الانغام ،
فقد التقت اللانهـاية بالعدم .

القاهرة — يوسف الشاروني

العالم الخارجي

The External World

بقلم عبد الكريم المحمود

☆

يشعر رجال الشارع او الاكثرية الساحقة من الناس انهم يعيشون بين موجودات يتحسسونها ويشعرون بها ، يتفاعلون معها في حياتهم اليومية وتتفاعل هي بدورها معهم ، ولا يشك مطلقاً بان وجوده و وجودها من حيث الوجود سواء ، لذلك نرى ان عالمه عالم موجودات منفصلة عنه ، ولا يعتمد وجودها على وعيه لها وما عقله في الواقع الا مرآة تنعكس عليها صور الطبيعة والحياة المحيطة به .

على ان هذه النظرة البسيطة للعالم لم تستطع الثبات بكليتها امام التفكير الفلسفي ونقد الفلاسفة ، لانها لا تنظر الموجودات الا من حيث ظواهرها . واذا كانت جميع افكارنا مستقاة من العالم الخارجي كما يعتقد بعض المفكرين الاختباريين والاغلبية الساحقة من الناس فاين نضع احلامنا ومشاهدتنا الاشياء مضاعفة وفكرة الحب والارادة وغير ذلك من الظواهر التي نختبرها ؟ . لا شك انها في عقل المختبر لها . اذن فيمكننا والحالة هذه ان نختبر اشياء او موجودات او امتثالات دون اي وجود مادي لها في الخارج . ومن هنا نرى امكانية الخطأ في نظرة رجل الشارع للعالم الخارجي .

يتمسك المثاليون بهذه الامكانية ويتدرجون منها الى انكار العالم الخارجي الذي يمثله — الرجل العامي . ولكن هذه الامكانية لم تأخذ مكانها الواضح في فكر الفلاسفة حول مشكلة العالم الخارجي الا عند « لوك » الذي فرق بين نوعين من الكيفيات في الاشياء : نوع موجود فعلًا في الشيء كالحجم والصلابة والثقل ونوع اخر يمثله عقلنا ويسبغه على الاشياء كاللون والطعم ، هذا وفي كلا النوعين من الكيفيات في الاشياء لا يعي العقل الاشياء الحسية نفسها وانما يعي الانطباعات التي يحدثها العالم الخارجي في الحواس ، ومن هنا تظهر فاعلية الذات في الفلسفة الحديثة في خلق موضوعها .

ولكن موقف « لوك » لم يكن بالموقف الثابت ، لان الانسان يجد نفسه عند هذا التقسيم بين كيفيات اولية وكيفيات ثانوية امام امرين كما قال « باركلي » . فاما ان نرجع الى النظرية العامية للاشياء ونعتقد بوجود جميع صفاتها فيها وجوداً فعلياً ، واما ان نعتقد ان جميع الكيفيات سواء كانت الاولية منها او الثانوية لا تنفصل عن العقل الواعي لها . هذا واذا كان العقل لا يستطيع ان يعرف العالم الخارجي وانما يعرف الانطباعات التي يحدثها كما قال « لوك » فكيف له ان يعرف ان له خاصية احداث الانطباعات في عقلنا ؟ ولو سلمنا جدلا مع «لوك» بهذا التقسيم لكيفيات الاشياء فكيف وعلى اي اساس نضع قسماً منها في وعي الانسان والقسم الآخر في الشيء نفسه ، اذن ليس هنالك من تميز بين صفات اولية وثانوية بالنسبة للشيء نفسه ، والقضية لا تحتمل الا امرين فاما ان تكون هذه الكيفيات كلها موجودة فعلًا في الشيء ذاته واما ان تكون من خلق العقل .

ان هذا الموقف الذي وقفه باركلي من مشكلة العالم الخارجي ونقده الشديد لنظرية « لوك » لا بد ان ينتهي الى انكار العالم الخارجي انكاراً باتاً والاكتفاء بالعقل الواعي لحالاته ووضعياته . الا ان هذه النهاية التي لا بد من الوصول اليها بعد هذا الموقف من العالم الخارجي قد فصلت بفترة من الزمن تجسدت خلالها فلسفة « كانت » التي حاولت ان تنقذ الفيلسوف المثالي من مثاليته وتعيد الى العالم الخارجي مكانته من حيث الوجود الفعلي . ولكن هذه الفلسفة كانت بالنسبة الى نظرية وجود العالم الخارجي النزع الاخير التي لفظت به انفاسها . و« كانت » حرصاً على العالم الخارجي قال بوجود « شيء في ذاته » « The Thing in it self » يثير فينا هذه الامتثالات التي نعيها . وان وجود هذا « الشيء في ذاته » عند « كانت » واجب ، لان قوى الوعي الكامنة فينا لا تتحفز الى العمل الا بباعث او محرك . ولكن هذا الشيء في ذاته مجهول ولا يعرف عنه شيء ، ويمثل وجوده في الواقع كمثل مادة لا حجم ولا صلابة ولا ثقل لها تكيفها المقولات Catégories القبلية فتصير منها امتثالات كالشجرة والتفاحة والجبل الى آخر ذلك من الامتثالات الحسية . ويتضح من موقف « كانت » هذا ان العالم من خلقي اي من التراكيب والقوانين القبلية التي تكون ماهية فهمي .

الا ان هذا « الشيء في ذاته » الذي فرض « كانت » وجوده

حرصاً من الوقوع في الذاتية لم يستطع الثبوت امام العاصفة التي اثيرت عليه. كيف لنا ان نقول بوجود شيء في ذاته ما دمنا لا نعرف عنه شيئاً وما دمنا لا نستطيع الا لفظ اسمه فقط؟ لقد كان على الفلاسفة الذين جاءوا بعد «كانت» ان يزيلوا فكرة الشيء في ذاته من تفكيرهم لكي ينتشلوا فلسفته من المأزق الحرج الذي وقعت فيه. لهذا فقد اكتفى الفلاسفة المثاليون بعد «كانت» بالعقل الواعي لحالاته والمكوّن لعالمه واصبح بذلك عالم الاشياء عند رجل الشارع عالم فكر يخلقها العقل وفقاً لقوانينه القبلية. ان «الأنا» كما يقول «فخته» وجود يخلق موضوعه بنفسه. وبذلك اصبح «الشيء في ذاته» الذي قال به «كانت» الموضوع الذي تصيره وتخلقه «الانا» في خلقها المستمر.

انتهت الفلسفة التي شكت بنظرة الرجل العامي الى انكار العالم الخارجي والاكتفاء بذات واعية تعي ما تفكر وتخلق موضوعها وفق القوانين القبلية التي تكوّن ماهية الفهم. ان هذه النظرة الحديثة للوجود لم تكن معروفة عند اليونان والرومان والقرون الوسطى في الشرق والغرب فالروح اليونانية اذا توصلت الى هذه الفكرة، اعني وعي الذات لنفسها، تراها غريبة عنها وتأخذ الحذر والحيطة تجاهها حتى ان ارسطو الذي لمّح عنها بكتابه «ما وراء الطبيعة» لم يستطع الا ان يعزوها لله فقط. فالله وحده هو الذي يعي انه يعي. وهكذا فان الظاهرة التي استقبلها اليونان بحذر وتعجب اخذناها نحن اهل الجيل الحديث بكل قوانا وصيرنا منها مقولة الوجود. يا ترى ما السبب في ذلك؟. هل يرجع هذا الاتجاه في التفكير الحديث الى نضوب الحيوية في التفكير اليوناني او الى الاختلاف في الاتجاهين من حيث نقطة البدء في التفكير؟

لا شك ان هذه النظرة والاتجاه الحديث لمشكلة العالم الخارجي قد نتجت عن اختلاف في الاسس التي بني عليها التفكير الفلسفي، وهذه الاسس هي روح الشك العميق الذي ساد اوروبا منذ عصر النهضة. ان المفكرين من اليونان والرومان، وهم القريبون من نظرة رجل الشارع، ابتدأوا تفكيرهم من الموضوع اي من الاشياء المادية التي يتفاعلون معها فيؤثرون فيها وتؤثر هي بدورها فيهم وهم لم يشكوا مطلقاً في امكانية الوصول الى حقيقة هذه الموضوعات، لهذا كانت نفوسهم مطمئنة، فيها العزم القوي والامل البعيد. اما التفكير الحديث فيستقبل عالم الموضوعات التي تمثل بوعيه، بنفس قلقة منهوكة القوى تعمل في وثبات متقطعة ولا ترى في الوجود الا نفسها. وهذا بالطبع نتيجة حتمية للشك الذي يغمر روح العصر الحديث والذي يكوّن الزاوية الاساسية او نقطة البدء في التفكير.

ان هذا الشك الذي اعترى الرجل الحديث لا بد ان يتجه بروحه نحو اتجاهين من التفكير. فاما ان يتجه نحو الموضوعات الخارجية واما ان يتجه الى الذات. فان اتجه الى الذات وشك في قوتها وفاعليتها لمعرفة الحقيقة فلا بد له من انكار وجود امكانية اية معرفة. لانه لا بد من وجود ذات عارفة. واما ان اتجه نحو الموضوعات فليست هناك حتمية لانكار الذات لهذا نرى ان هذه الروح المشككة التي لا بد لها من الوصول الى موقف ايجابي، قد اكتفت بالذات وصيرت منها الحقيقة الاولى والاخيرة، لانها لا تستطيع ان تقف موقفاً سلبياً من اتجاهي التفكير. وهذا فعلاً ما وصل اليه «ديكارت» ومن جاءوا بعده. ان ديكارت بعد ان اتخذ الشك كنقطة بدء في التفكير الفلسفي وانكر على عالم الموضوعات الحقائق الحسية لم ير الا حقيقة ذاته.

ولنسأل هنا المثاليين: اذا كان العالم الخارجي ليس موجوداً فعلاً ومنفصلاً عنا فلماذا نبتدىء بالشك فيه. ان الشك في شيء ما دلالة على وجوده ولا يعني عدم وجوده وانما يعني ان هناك امكانية الخطأ ويجب تصحيحها. كان على المثاليين بعد ان اتخذوا هذا الموقف من عالم الموضوعات ان لا يتلفظوا باسمها ويعددوا منها الشجرة والتفاحة وقطعة الشمع التي اتخذها ديكارت بعد صهرها كبرهان على عدم الثقة بالحسيات. وعلى فرض ان قضية الشك بالعالم الخارجي صحيحة فلماذا لا يتعدى هذا الشك الى حقيقة الذات وامتثالاتها. ان عالم الموضوعات تطبع فينا امتثالات وعالم الذات كما يعتقد المثاليون تخلق امتثالاتها لنفسها وبنفسها فما الفرق بين هذين النوعين من الامتثالات؟ ولماذا نشك في احدها ونعتقد في الثانية. ان امكانية الشك في امتثالات عالم الموضوعات هي نفس امكانية الشك في امتثالات الذات ولكن المثالي لا يستطيع الا ان يشك في امتثالات عالم الموضوعات ما دام لا يستطيع ان ينكر الطرفين وما دام لا يستطيع الا الاخذ بالذات كحقيقة ان اراد ان يكون فيلسوفاً ايجابياً ويصل بهذا الشك الذي يعتريه الى حيز الطمأنينة والهدوء.

على ان هذه الذات التي كونت الحقيقة النهائية في العصر الحديث والتي اصبحت اللازمة او اللحن الاساسي في الفكر الحديث ليست موجودة فحسب بل لها خاصية او ميزة اخرى وهي وعيها انها تعي وهذه الميزة قد اخذها مفكرو العصر الحديث بالتمجيد والاجلال. ولكن لو بحثنا في ماهية هذا الوعي لوجدنا انه وعي لشيء ما، وهذا الشيء سابق في وجوده لوعي الذات لانه هو نفسه الذي يثير الوعي. لذلك فان الشيء او الامتثال من حيث الزمن

سابق الوعي الذي يبتدىء به مفكرو العصر الحديث. ان الشيء الذي كان عليهم ان يتوصلوا اليه قد ابتدأوا فيه. وهـذه هي خطيئتهم. عندما تعي الذات انها تعي انما تعي انها تعي موضوعاً. وهذا الموضوع لا بد وان يكون موجوداً اذا وعينا اننا نعي، لهذا فانه من الخطأ ايضاً ان نعتقد ان الذات والموضوع شيء واحد والا فما معنى وجود الموضوع في وعينا عند ما نعي اننـا نعي ومـا معنى هذا التفريق بين الموضوع والذات في تفكيرنا سواء كان هذا التفكير فلسفياً ام عادياً ؟. أليس ذلك دليلاً واضحاً على ان الذات والموضوع طرفان مختلفان كل الاختلاف في عملية التفكير .

اضف الى ذلك انه لو دققنا في هذه الامتثالات التي يتمخض بها وعينا لوجدنا ان هناك فرقاً كبيراً في قوة الامتثالات التي نعيها. فامتثال الشجرة في وعينا يختلف تمام الاختلاف من حيث قوة الامتثال ووضوحه عن امتثال فكرة الله والحرية والجوهر. فلو كانت جميع هذه الامتثالات من خلق الذات لما وجد فيها هذا الفرق ما دامت الذات هي نفسها في جميع حالات خلق امتثالاتها كما يعتقد المثاليون. لا شك في ان الامتثالات التي نعيها تختلف من حيث موضوعها فالشجرة من حيث موضوعها تختلف عن فكرة الحرية سواء كانت هذه الفكرة من خلق الذات او من انطباعات الموضوعات الخارجية، ولكنها يجب ان لا تختلف في قوة امتثالها ما دامت الذات هي نفسهـا في جميع حالات خلقها لموضوعاتها، وما دامت هي نفسها التي تخلق النوعين من الامتثالات ولهذا فانا اعتقد ان الموضوعات التي تعيهـا الذات لا يمكن ان تكون كلها من خلقهـا. لانه لو كان الامر كذلك لما وجدنا هذا الاختلاف في الحيوية والوضوح بين النوعين من الامتثالات ولما وجدنا التمييز بين الموضوع والذات التي تصحب عملية التفكير عندنا .

هذا ويعتقد المثـاليون ان مقولة السببية Causality هي من مقولات الفهم القبلية التي تربط الامتثالات بعضها ببعض بحيث تحولنا القول بان هذا الشيء نتيجة حتمية لذلك . ولكن لو فحصناهذه المقولة لوجدناها تحتوي على علة ومعلول يختلفان في الزمان والمكان فمن حيث الزمن يرى ان العلة تسبق المعلول اي ان تلك الظاهرتين تسيران الواحدة تلو الاخرى ضمن الزمن، وما دامت هاتان الظاهرتان تختلفان من حيث وضعهما في الزمن فلا بد وان تختلفا من حيث وضعهما في المكان، لان تتابعهما ضمن الزمن لا يعني الا اختلافهما في المكان . لهذا ارى ان علة امتثالاتنا يجب ان تحتل مكاناً غير مكان الامتثال وزماناً غير زمن الامتثـال ولكن اين المكان الذي يكوّن امتثالاتنا . هل يكون هذا المصدر مطلقاً متعالياً او موضوعات خارجية او حواسنا الخمس . اما ان يكون مصدر هذه الامتثالات مطلقاً فلا يمكن ذلك لان المطلق لا يمكن ان يخلق فينا امتثـالات تعاكس جوهره، ولو كان الامر كذلك لاصبح المطلق في صيرورة مستمره وهذا ما يتنافى مع جوهره . والحواس الخمس بطبيعة تركيبها لا يمكن ان تكون مصدراً لموضوعات مادية ما دامت وظيفتها ليست الا قبول انطباعات تطبعها عليها موضوعات خارجية عنها فالعين مثلاً لا تخلق امتثال شجرة ولكنها تستقبل انطباعات الشجرة عليها. اذاً لم يبق امامنا الا عالم موضوعات خارج عنا، له وجود خاص به لا يتكل على وعينا له . فهو موجود هناك سواء وعاه الانسان او لم يعه .

ورب معترض يقول بانه لا يمكن الجزم بوجود موضوعات خارجة عنا ما دمنا لا نعيها وان وعينا لها هو الذي يكوّن وجودها. ولكن لو سلمنا جدلاً مع هذا الاعتراض وفرضنا ان وجود الموضوعـات يتكل في النهاية على وعينا لها فلماذا افترض وجودها منفصلة عني في حياتي اليومية والعملية . ان حياتي العملية في تفاعلاتي تفترض وجود شيء خارج عني وهذا الافتراض في الواقع هو المسبب لحركة الانسان وفاعليته . فلولا افتراضي من ان صديقي موجود بمكان ما لما تحفزت وعزمت على زيارته . انا لا استطيع ان اتصور حياة خصبة فعالة دون هذا الافتراض .

على ان المثاليين عند ما يجابهون بهذا الافتراض للموضوعـات يقولون بان نظرية المعرفة والحياة العملية طرفان من حياتنا يختلفان كل الاختلاف: فمن حيث الناحية العملية لحياة الفرد يمكننا معرفة الشيء في ذاته ولكن من حيث نظرية المعرفة يبقى هذا «الشيء في ذاته» مجهولاً لدينا ولا يسعنا الا انكاره انكاراً باتاً. ولكني اسأل هؤلاء المثاليين اذا كانت الناحية العملية من حياتنا تقودنا الى معرفة الشيء في ذاته فلماذا لا نتخذ الجانب العملي من الحياة كنقطة بدء في تفكيرنا ؟ اليست معظم الحياة التي نعيشها الآن، ان لم تكن كلها، عملية . . اليست حياتنا من حيث الزمن سابقة لتفكيرنا بذاتنا ؟ اليست الحياة نفسها التي نعيشها هي البرهان على وجود الحقيقة واي برهان غير حياتي ؟ اني على اعتقـاد جازم بان حياتنا التأملية بذاتنا ثانوية بالنسبة لحياتنا العملية، ولهذا كان البدء فيها كزاوية للتفكير خطأ عند المثاليين .

عمان – شرقي الاردن

عبد الكريم الحمود

انت

أنت من دنيا الرغابِ   والشبــاب ...
سكّر الحب المذاب   في شرايي ...
انت خمــر ...   رشفته شفتــايه
انــت نور ...   قبسته مقلتــايه

انت من دنيــا المنى ليلى روايه
صغتها عند انبثاق الحب في اعماق نفسي
وسأتلوهــا عليك قبلــا تفرغ كأسي

رنّقت عيــني بنوم   شبه سحر ...
فــانحنى الله بحلم   فوق صدري ...
سلْ ضلعاً ...   من ضلوعي وبراه
جل صنعاً ...   انت ما صاغت يداه

انت خمر الروح والكأس الشفاه

وديع ديب

حلوة ... انت !

حلوةٌ انت ... كلألاء الصباح
كالندى ... كالعطر في ثغر الاقاحي
عذبة ، كالشعر رفــاف الجنــاح
فوق دنيا من فتون .. ومراح ..
لست الا حــلم اكوابي ، وراحي
فاغزي لحني .. وعزّي مــا خبا
في الحنايا .. من لهيبي ، وصداحي !.
ايقظيها ... نغمة في صدر عودي
نتساقاها ... عــلى شط الخلود
أُسكر الفن .. نشيداً ، بنشيــد
فــاذا روحي .. امواج قصيد
واذا انت : ابتسامــات صبا
تــترك القفر .. بساطاً من ورود
سأوافيك .. عــلى صدرر النجوم
تاركاً خلفي .. عــذابي وهمومي
كل ومض .. من محياك الوسيم

جنــة غرقى .. بالوان النعيم
أفأخشى بعد ذا .. ان نضبــا
في يدي كأسي ؟ .. وضيعت نديمي ؟!
لا تحــاري ... ان تلقتك السماء
قُبلاً .. يسكر فيهن اللقــاء
والدجى حولك : شعر ، وغنــاء
ونجــوم الليــل : أتراب ظماء
لم تكوني غير نجم .. سلبــا
فتداعبك الدراري .. مــا تشاء !
هــاك يا حسناء .. نبضاً من ربابي !
عربدت فيه ... غوايات الشبــاب
فــاذا هزك وَجدي ، وانسكابي
رعشات .. من حنين .. وعــذاب
فانقلي من نغمي .. ما التهبا
للسماوات .. وخليني ومــا بي !
ليتنــا .. في مهجة الغيب بريقُ
يتملى الغروب منــه .. والشروق
ليتنا .. لحن من النــاي .. رقيق
يلمس الغــم .. فيصفو ، ويروق
سوف يبقى الكون مهما رحبــا
عن جميلات امانينــا ... يضيــق
ابسمي « ريحــانة الشعر » وسيري
في سماء الحب .. انسام عبــير !
ارسليها .. عاصفــات من شعور
ستظلين ... عــلى مر العصور
عبقة الورد ... والحــان الطيور
ستظلــين .. الهوى ، والطربا
وندى « الواحة » في قلب الهجير

حلب   سليمان العيسى

الشهيد

روّع الليل فالقى بوشاحه   واستفاق الفجر من تحت جناحه
فاقشعرت مقلتاه ، وتمادى   جفنه همساً الى اذن صباحه
مخلب دامٍ واشلاء أطــاحت   ببقاياها ردى هوج رياحه

بطل في موكب الهيجاء يعدو   مهره والموت في ثني وشاحه
طاف كالصقر على هدب المنايا   يستقي من حوضها حرجراحه
فثوى كالنجم وضاء المحيا   وسقى منه الثرى خضر بطاحه

***

مات لم يحمل على نعش ولكن   لفه المجد بريان اقاحه
يالثم الطل المذاب شفتيه   ويحييه الندى حين رواحه
عربي، قل، وحسب المجد منه   انه من دمه ثوب كفاحه

دمشق   محمود نظامي

الاكليل

الى كل نبع للحياة ومورد ..
سعيت، وما زالت تبكتني نفسي !
وما برحت تشكو الي من الظما ..
وتنفث في صدري دخاناً من اليأس
تريق .. على نعش الليالي .. دماءها.
وتدفن يومي الطفل في مأتم الامس !
واحيا واياها غريبين .. لا انا
عرفت طواياها .. ولا عرفت نفسي !

***

غرفت لها من منبع النور حفنة ..
وقلت لها : نخب السماوات فاشربي !
فقبلك ، هذي الكأس ، كم اشرقت على
حكيم سعيد ، واستهلت على نبي ..
وكم فجرت ينبوع وحي لشاعر ..
وأحيت رجاء في ضمير معذب ..
فصاحت : بل اسفكها ! ولا تشقني بها .
فليس بها ري لشوقي الملهب .. !

***

ومن هيكل الحب اقتبست شعاعة ..
وذوبتها .. في ادمعي .. ودمائي ..
وقلت لنفسي : دونك الدن ، فانهلي
عذوبة اطياب ، وصفو ضياء ..
فهذا هو الاكسير ! طل .. رأيته ..
على برعم الاحلام .. ذات مساء !
فما ثملت بالحب .. حتى تزلزلت ..
من الظمأ الطاغي .. وضج شقائي !.

***

واعددت من سم الخطيئات جرعة
بها حمم من شهوة الحس والجسد
وقلت لنفسي : دونك الموت ، فاكرعي !
وخلي فؤادي يستريح الى الابد !
فقالت وقد كادت تغص بيأسها :
رويداً .. فما زالت لنا فسحة وغد !!
وداعبها حلم الكمال .. فأغمضت
عن الكأس ... وانداح الحنين بلا أمد !

***

وارخيت من حولي ستائر وحدتي ..
فماجت لحوني السود في ليلي الراسي
ورقرقت أنشادي .. بكأس من اللظى
وقلت لنفسي : ها عصارة احساسي .
هلمي اشربي هذي الثمالات .. واسكري
بوقدة اعراقي ، ولفحة انفاسي ،
وفري من التيه الرهيب الى الرؤى
وغني .. فقد يأسى لك القدر القاسي !

***

.. وغام بعيني الوجود ... وعندما
افقت .. رأيت الزهر في دربي العاري !
وابصرت واحات الخلود ، كأنها
سراب ، خلال الفيض من دمعي الناري
ومست يد المجهول قلبي .. وباركت
جراحي .. بأكاليل من الورد والغار !
واطرقت .. والاوصاب تغسل خاطري .
وسوط الصدى المجنون يلهب اوتاري
فأدركت اني في يد البؤس مزهر ،
تحركه ، في مسرح القدر الضاري .
وقلت لنفسي : ليس لي بعد مأمل
بري ، فحسبي ان اعيش بأشعاري !

البصرة   محمود البريكان

الكرم العربي في مواكب الزمن

بقلم عيسى ميخائيل سابا

☆

في فسحة الزمن وفي مطاوي الايام اخبار وصلتنا بطريق التواتر، مكتوبة ومروية عن رجل، تجاوبت اصداؤها في ملء البلاد وعرضها، وما من كبير او صغير، الا سمع ذلك الصدى واتصل به اسم حاتم الطائي، والكرم الحاتمي .

فمن هو ذلك الرجل الذي ملأ اسمه الافواه، واطمأنت اليه الاسماع، ورويت عنه الاخبار، وفي بعضها يقول ابو عبدالله الزبير ابن بكار المتوفي سنة ٢٥٦ ﻫ، احد رواة ابي الفرج الاصفهاني صاحب الاغاني : « والعرب تتحدث باشياء هي عندها صحيحة، وقد نطقت بذلك اشعارها، وتمثلت، ولا تكاد النفس تصدق بها، واحسب امر حاتم حيلة من ورثته » ويقول : ان اخباره باساطير الجنّ اشبه، ولم يقل هذا الا لما ترامى اليه من اخبار كرمه التي تكاد لا تصدق، والانسان يميل بطبعه الى المبالغة في كل شيء، ولا سيما اذا اتصل به خبر جليل عن رجل جليل، فيقلّب ذلك الخبر على وجوه ليسوقه بطريق الاستغراب، فما يزال به ينمّقه ويجري به على اساليب التشويق والترغيب حتى تضيع الحقيقة، ويصبح الخبر اسطورة في مظنة التجريح .

وما اكثر الاخبار المروية التي بين ايدينا وفيها كثير من التخليط، كاخبار سيف بن ذي يزن وعنترة، وبالتخليط الذي يتعمده الرواة تضيع الحقائق، ويساء الى الزمن فيتطرق الشك في كل منقول او مروي، ومما نحن في صدده من الاخبار، ما روي عن حاتم الطائي من الروايات التي هي بحوادث الجن الصق منها بحوادث الانس، منها ما يزعمون : ان رجلاً يقال له ابو الخيبري، مر مسافراً في نفر من قومه، بقبر حاتم، في مكان يقال له « تنغة » او « عُوارض » حوله انصاب من حجارة متقابلات، كانهن نساء نوائح، فنزلوا به، وبات ابو الخيبري ليلته يناديه إقرِ اضيافك يا حاتم اقرِ اضيافك، وقد اراد بذلك في ما زعموا انه يريد ان يبخله ويشهر امره في العرب، فلما كان السحر هب فزعاً وهو يصيح، واراحلتاه ! ! واراحلتاه ! !

فقال له اصحابه : ويلك ما دهاك ؟

قال : خرج والله حاتم من قبره بالسيف وانا انظر اليه حتى عقر ناقتي .

— قالوا : كذبت لا يخرج ميت من قبر مرموس عليه .

— قال : ويلي والله قد فعل .

ثم ان اصحابه نظروا الى راحلته فوجدوها عقرى لا تنبعث .

فقالوا له : والله لقد قراك حاتم ثم عمدوا اليها فنحروها وظلوا يومهم معرّسين عليها، يأكلون من لحمها، ثم انهم رحلوا واردفه احدهم وراءه .

وما جاوزوا قليلاً حتى لحق بهم ركب يصيح، الا اربعوا ايها الركب، فنظروا فاذا عدي بن حاتم وصحبه، يقود راحلة مجنوبة، وزعم لهم، ان حاتماً اتاه في منامه واخبره خبرهم، وامره ان يلحق بهم ليخلف على صاحبهم راحلته، وقد زعمت الرواية ان حاتماً أنشد ابنه ابياتاً هي :

ابا الخيبري وانت امرؤ	حسود العشيرة شتامها
اتيت بصحبك تبغي القرى	لدى رمّة صدحت هامها
اتبغي لي الذم عند المبيت	وحولك غوث وانعامها
فانا سنشبع اضيافنا	ونأتي المطي فنعتامها

والناظر بمثل هذه الاخبار، يرى فيها الاسطورة او الخرافة التي تسيء الى حاتم اكثر مما تنفعه، ثم لا بد لها ولامثالها من ان تحمل الرجل المتحري الحقائق الى ان ينكر وجود من روي عنه الخبر .

والاديب المحقق لا يقدر ان يصدق امثال هذه النوادر التي اثبتتها كتب الادب من غير تحرٍ، وكأن جامعي الكتب كانوا يسرون بنقل الاخبار الغريبة، ولعلهم عدلوا بما شحنوا به كتبهم ليعرفونا مبلغ التحري في كتب الادب وهي على كثرتها وطول باع جامعيها لا تخلو من امثال الرواية التي نقلناها، مما يحمل الاديب الناقد

اصل كلمة « عالم »

بقلم الاب مرمرجي الدومنكي
احد اساتذة المعهد الكتابي والآثاري الفرنسي بالقدس
وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق

في غضون زيارتنا وطننا بغداد ، في الخريف الغابر ، اتيحت لنا الفرصة للاطلاع على معجم العلامة الكبير الاب انستاس الكرملي ، ذلك المعجم الموسوم بـ « المساعد » والقائم على «محيط المحيط » لبطرس البستاني ؛ مع ما زاد وعلق عليه الاب المرحوم مما جمعه مدة خمسين سنة من المذكرات والمعلومات الضافية بخط يده . فتضاعف حجم الكتاب فنشأ عن ذلك خمسة مجلدات ضخمة قارب مجموع صفحاتها ستة آلاف صفحة .

وقد طالعناه وفحصناه بامعان ، نحو شهر ، فوجدناه مجموعة حاوية كل صنف من المواضيع المعجمية ، وغيرها من المواضيع الغريبة المختلفة . وهو والحق يقال ، سفر ثمين ، حري بان ينشر لمنفعة ارباب العربية ، بيد انه ليس بمنظم تنظيماً يجعله معداً للطبع لان واضعه لم يقم بهذه المهمة . لذا يقتضي قبل طبعه ان يتعهده من هم من طبقة اللغويين المتضلعين الواقفين في الوقت عينه على اللغات السامية ومقارنتها ، وعلى الالسن الاجنبية كاليونانية واللاتينية . فعسى ان يتهيأ لهذا الكنز النفيس من يقف على تحريره وتنسيقه ، ثم من يقوم بنفقات نشره ، على اننا اثناء مطالعتنا هذا المعجم القيم ، وقع نظرنا عرضاً على نبذة في اصل كلمة « عالم » وهذا نصها الحرفي الواقع في الصفحة ٤٢٢ من ملحق المجلد الرابع من الكتاب .

« العالم ومعناه واشتقاقه — لا صلة لهذه الكلمة توجه معناها

على الشك في كثير من رواياتهم ويتعدى الى الشك في ابطال مروياتهم .

على ان امثال هذه الحكايات لا تمنعنا من ان نتعرف الى من رويت عنه كحاتم مثلاً ، فنتعرف اليه ولا سبيل الى نكرانه ، ولدينا نتف من اخباره الصادقة ، تعرفنا انه نشأ يتيماً في كنف امه ، وكانت كثيرة المال نفاحة اليدين بالنوال ، لا تليق مما تملك شيئاً ، فحجر عليها اخوتها وحبسوها سنة ، لعلها تذوق طعم البؤس وتدرك فضل الغنى ، فلما فكوا اسارها ملكوها قطعة من مالها ، فوفدت عليها امرأة من هوازن مستجدية ، فمنحتها اياها وقالت : « لقد مسني من الجوع ما آليت معه الا امنع سائلاً شيئاً » وان ولداً ينشأ في كنف ام نفاحة اليدين بالنوال ، لا بد من ان يشب والكرم ملء برديه ، يهتز له ، ويغلو فيه حتى يبلغ مبلغاً عظيماً ، يعطي ولا يمن وينحر للضيفان راحلته ، وليس عنده غيرها ، على انه لم يكن مبذراً متلافاً ينهب امواله الناس ليصبح مدقعاً ، كما يزعم غير راوية ، وقد حدثنا عنه ابن الاعرابي قال : « كان حاتم مظفراً ، اذا قاتل غلب ، واذا سابق سبق ، واذا ضرب بالقداح فاز ، وكان اذا اهل الشهر الاصم « رجب » وهو الشهر الذي كانت تعظمه (مضر) في الجاهلية ، نحر كل يوم عشراً من الابل ، فاطعم الناس واجتمعوا اليه » .

وقد وصفته ابنته سفانة يوم قامت بين يدي الرسول ترجو ان يخلي عنها وهي سبية قالت : « اني بنت سيد قومي ، كان يفك العاني ويحمي الذمار ، ويقري الضيف ، ويفرج عن المكروب ، ويطعم الطعام ويفشي السلام ، ولم يرد طالب حاجة قط انا بنت حاتم طي » .

قال لها الرسول : « هذه صفة المؤمن لو كان ابوك اسلامياً لترحمنا عليه ، خلوا عنها فان اباها كان يحب مكارم الاخلاق » .

وشهادة كهذه لها قيمتها العظمى ، تدعونا الى القول ان حاتماً كان كريماً مجواداً ، يعطي ولا يمن ، ويهب من ماله ما هو قادر عليه يضمن بما تبقى له العيش ، ويدلنا على ذلك قوله :

فنفسك أكرمها فانك ان تهن عليك فلن تلقى لها الدهر مكرما
أهن للذي تهوى التلاد فانما اذا مت كان المال نهباً مقسما

هذا هو الرجل الذي ما زال الى يوم الناس مضرب المثل بالكرم في العالم العربي على انه لم يكن الرجل الاوحد فقد قال عبد الملك : « من زعم ان حاتماً اسمح العرب فقد ظلم عروة بن الورد » وان بعض اشعار حاتم تروى لعروة ويضاف بعضها الى غيره من شعراء الحماسة .

ولحاتم ديوان شعر اعتنى باخراجه المستشرق « فردريك شولتهيس » .

عيسى ميخائيل سابا

توجيهاً معقولاً باصل المادة (ع ل م) والكلمة التي تقابلها في اليونانية (قسمس Cosmos) معناها الحسن، لان العالم بديع في وضعه وخلقه وترتيبه على الجملة. وعلى ذلك يكون اصل العالم «القاسم» بمعنى الحسن، وهو من قَسُم اي حسُن. فجعلت العين في مكان القاف على لغة من يقلبها هذا القلب، كتوعل الجبل في توقله، وانباع في انباق، واندلع السيف في اندلق. وهو كثير في اسانهم. وجعلت السين لاماً، كما قالوا في السوءه اللوءة، والسقاط للقاط، والعجوس في العجول، الى غيرها. ولا غرابة في وقوع ابدالين في الكلمة الواحدة، فقد جاء مثل هذا كثير. ومنه قولهم. ختره في غدره وخدعه. والمعنى واحد. وقالوا. سما وسمق وسمخ، اي علا.» .

انتهى كلام العلامة الكرملي. لكن يؤسفنا القول بان الاستاذ المرحوم لم يوفق في تأصيل هذه المفردة. لان اصلها ليس من «القاسم» ولا من Cosmos اليونانية. ولا حاجة الى كل هذه التخيلات في افتراض المبدلات، ونكبر الظن ان الاستاذ توهم هذا، عهدَ كان يذهب الى ان كثيراً من المفردات العلمية آتية من اليونانية. وفي اواخر حياته افرط في الرأي فأخذ يزعم بان اغلب الالفاظ اليونانية او اللاتينية الموحدة الهجاء اصلها عربي. مهما يكن من امر، نقول نحن ان كلمة «عالم» مشتقة من مادة (ع ل م) اذ هي عربية لا بل سامية، لوجودها في كل الالسن السامية باصولها ومشتقاتها الكثيرة، وان ظهرت اللفظة غير متناسقة المعاني مع المادة الاصلية بيد ان هذا ليس من المتعذر تلافيه.

اجل ان التضارب بيّن وافر بين مداليل «علم» او «غلم» ومشتقاتهما، سواء كان ذلك في لغة واحدة من اللغات السامية، ام بالمقابلة باخواتها. اما التوفيق في الموضوع الحاضر فلا يتم بمجرد رد الثلاثي الى ثنائي واحد وحسب، مما لا يفي بالمرام، بل برده تارة الى ثنائي آخر طبقاً لتضارب المدلولات. اما الثنائيات التي يرد اليها الثلاثي «علم او غلم» لاظهار تناسق المعاني، فهي ثلاثة «عل و لم وغل». ثم من المعلوم عند الالسنيين المستسيمين ان العين والغين المفترقتين في العربية هما موحدتان في السريانية والعبرية والحبشية، وقد استحالت العين ذاتها همزة في الاكدية.

ان اهم مفاهيم مادة «علم او غلم» هي هذه «وسم، ختم، سجّل، عرف، فهم، شق، دخل، تغلغل، خفي هرب جهل» فعلَم: بمعنى رسم وختم، مشتق من الثنائي «عل» وعلم المراد به عرف وفهم، صادر من الثنائي «لم» من ذلك ألمّ بالمعنى: عرفه. وعلم الدال على الشق، آت من «عل او غل» المطلق على الدخول والولوج والتغلغل. من ذلك الخفاء والتواري.

فاذا تقرر هذا نقول ان لفظة «عالم» سامية. وهي في العربية «عالم»، وفي السريانية «عَلما»، وفي العبرية «عولام» وفي الحبشية «عالم»، واما اشتقاقها فنرى الاصوب فيه ان يؤخذ من العبرية الدال فيها فعل «عالم» على الخفاء. وهذا الثلاثي صادر عن «عَلْ». ويقابله في الارمية «عَلْ». ولكليهما معنى الدخول. لان الخفي او المستور هو الداخل دخولاً يمنع رؤيته. والمقابل لهذين الحرفين في العربية هو الثنائي «غل» المراد به الولوج، ومن ثم الاختفاء.

النتيجة : ١) اول معنى الكلمة «عالم» هو معنى الزمان الخفي، او المجهول، اي المتوغل في الغيب، وهو الازلية – الابدية.

٢) من باب التوسع اطلق لفظ «عالم» على الزمان الذي نحن فيه، اي الدهر. ٣) ثم سمي بهذا الاسم الكائنات الموجودة في هذا الزمان، او الكون من باب الاطلاق.

٤) اخيراً يفهم بـ «العالم» جمهور النـاس، والخلق كله، وكل صنف من اصنافه.

اما الاكدية فخالية من الثلاثي المنتهي بالميم. انما ورد فيها الثنائي «عل». وهذا دليل على وجود الثنائي منذ العصور الواغلة في القدم في اللغات السامية. و«عـل» يظهر في «علا» المراد به الارتفاع والصعود في سلم الازمـان، او تقادم العهد. من ذلك جاءت الالفاظ الآتية التي اصل الفاء فيها عين. وقد سقطت طبقاً لخواص الاكدية، لانها حلقية، فبقيت عوضها الهمزة: ullâti (الفظها عُلاتي) و ullâ (عُلّا) و ullâni (علّاني). وكلها تطلق على الازمان الصاعدة، القاصية القديمة اي على الدهر، او الازلية – الابدية.

وانت ترى ان هذا الاسلوب في التحقيق اسلوب وضعي، او تحسسي، مستند الى الشواهد الواقعية، ولا الى الافتراضات الخيالية وذلك دون الخروج من عالم الساميات، للتيهان في مجاهل الآريات. وهذه هي طريقتنا المألوفة، اي طريقة بدء الاشتقـاق من الاس الثنائي، والتخطي منه الى الثلاثي وما فوقه، ثم بمقارنة الالفاظ العربية بما ينظر اليها من المفردات في اخواتها الساميات اي بوسيلة الالسنية السامية.

هذا ما اردنا تبيانه بايجاز في اصل كلمة «عالم» والالفاظ المشتق منها. ومن احب الوقوف على المزيد من ذلك، فليراجع كتابنا «المعجمية العربية» صفحة ١٢٩ ى ي.

الاب مرمرجي الدومنكي

اديب الجيل

بقلم امين يوسف غراب

☆

دلف الاستـاذ عبد المعين الجلجموني ، استاذ الادب والفلسفة في كلية الحياة الدنيا ، كما كان يطلق على نفسه ، بعد ان تخرج من كلية اللغة العربية ، وعاش عاطلا في القرية ، لا عمـل له سوى قرض الشعر ، وتسويد بعض الصفحات ، على شاطىء الترعة تحت الجـميزة العجوز الكبيرة ، التي يجلس اليها كل يوم الساعات الطوال ، يبثها شكواه ، ويشكو اليها حاله . . دلف الى غرفته المظلمة الكائنة في منزل خالته الست ام عباس « داية القرية » المشهورة ، مبتهجاً لاول مرة في حياته ، فقد استجابت السماء الى دعائه ، ووصلته الرسالة المنشودة بعد تمنع وانتظار ، والتي تحققت بها آماله التي اوقف العمر مجاهداً في سبيل تحقيقها ، وهي الحصول على عمل في احدى المجلات الادبية ، حتى يستطيع ان يؤدي رسالته على الوجه الاكمل ، ويخلص من هـذا البؤس الذي عاش فيه اعواماً ، فقـد طلبتـه مجلة « الفكر الحديث » ليعمل محرراً بهـا ، وبذلك ستتفتح امـامه آفاق السعادة ، وتتاح له اسباب الثراء الذي حرمه عليه القدر ، وغير ذلك ، فانه سيخلص من هذا الشر المحيط به ، او ذلك النعت الذي نعته به القدر والصقه به ، حتى اصبح لا يذكر الا اذا ذكر الاستاذ الجلجموني ، وهو ضيق ذات اليد . . ذلك النعت اللعين ، او المعنى البائس الذي اصطلح علماء الفلسفة والادب على ان يعنونوا به كتاب الشقاء الدنيوي . ومن سوء حظ الاستاذ الجلجموني ، او من حسن حظ هؤلاء الذين الفوا هذا الكتاب ، وضمنوه بؤس الحياة ، وشقـاء الدنيا ، انهم اتخذوا من حياة الاستاذ الجلجموني مداداً لهم يكتبون به هذا السفر الخالد ، فقد كانت حياته — كما يصفها هو — هي تلك المحبرة التي كلما فرغ معينها الاسود ، مدها البؤس بمداد من عنده الى ان خلص ذلك الكتاب الاسود — كتاب ضيق ذات اليد .

ولكن ها هو القدر قد آن له ان يرحمـه وان يريحـه من هـذا العذاب الذي تخبط فيـه كل سني حياته . . وهـا هي المحبرة قد آن لمعينها ان ينضب ، بل آن لها ان تتحطم على مذبح الفقر نفسه . وما ان أحس بذلك واطمأن اليه حتى شعر بشيء من الرضا يغمره ويفيض عليه . لذلك ذهب مبتهجاً الى ركن من اركان الغرفـة الرطبة المعتمة ، وتلمس علبة الثقاب التي حرص دائماً على ان يضعها في مكان معين ، واشعل مصباحه الزيتي الصغير ، وراح على ضوئه الخافت يطالع الرسالة للمرة العشرين بعد المائة ، ثم طواها ووضعها في جيبه ، والقى نظرة على المرتبة المتآكلة الملقاة في جانب الغرفة على حصير من القش متآكل ايضاً ، ورآها رثة بالية كالغطاء الصوف الذي عليها ، والذي تآكلت اطرافه وتناثرت فتائل حول المرتبة . ثم رأى سفطاً به فضلات من خبز قديم جاف ، وبجانبه قدر اسود انتثرت الديدان حول غطائه الخشبي الملوث بسائل السمن القديم الذي ارتسمت خطوطه حول عنق القدر فشوهت منظره . ثم حانت منه التفاتة اخرى فرأى على الحائط مسماراً قد علق به جلباب من غير اكمام ومن غير لون ايضاً ، لان الرطوبة اتت عليه ، والزمن اتى على لونه ، هو الذي ينام فيه . . نظر الى هذا كله وتأمله كأنه لم يره من قبل ، ثم أسف ان تكون هذه هي حياته ، وان تكون هذه هي منامته . بيد انه عاد فتذكر الرسالة التي في جيبه فابتسم ، واردف الابتسامة ببيت من قصيدة — عصماء — كان قد نظمها في الريف البائس . وكان لا ينفي يردد هذا البيت من وقت مجيء الرسالة اليه وهو :

لا تسكنن الارياف ان رمت العلا ان المذلة في القرى ميراث

. . ثم حول وجهه عن هذه المنـاظر الكريهة ، وذهب الى صندوق من الخشب اصفر اللون قد نقشت عليه عدة رسوم تمثل الهلالي سلامه شاهراً سيفه ، والزناتي خليفة ممتطياً صهوة جواده ، كان قد ورثه عن امه ، ويضع فيه ثيابه . ثم تفقد هذه الثياب التي اعدها من يومين فوجدها كما نظمها بالامس ، فالبذلة قد عادت من عند الكواء بعد ان اخذ بيدها قليلاً ، والحذاء قد عاد اليه نظيفاً بعد ان رتقه له الشيخ عليش حذاء القرية . اما الطربوش فقد استطاع

قصة

ان يظفر من صديق له بطربوش غير هذا الذي بدلت الاجواء الامينة لونه، وصعرته الى هذه الصفرة الشاحبة كما استطاع ان يظفر من صديق آخر – يقدر فيه فنه وأدبه – بمبلغ من المال لا بأس به يستعين به على الاقامة في القاهرة اياماً، الى ان يصرف له راتبه، ويستأجر مسكناً، ويستقر في حياته الجديدة. ثم تفقد الحقيبة التي ورثها عن جده لامه، وازال ما عليها من تراب متراكم، ثم وضع فيها بقية ثيابه، وبعض الكتب التي سيحتاج اليها في عمله الجديد ككتاب الحيوان للجاحظ، وحي بن يقظان لابن طفيل، وسقط الزند للمعري. ورسالة في علم التوحيد الكاتب فحل، اكلت الصراصير اسمه الذي كان على الغلاف، وبذلك اصبح الكاتب الفحل مجهول الاسم. وقد غاظ هذا الاستاذ الجلجموني غيظاً شديداً لان هذه لم تكن اول مرة تأكل فيها الصراصير غلاف كتاب من كتبه، الامر الذي جعله يكتب ذات يوم رسالة مطولة عن الصراصير وخطرها على الادب، وجنايتها على حقوق الادباء.

ولما رتب كل شيء واطمأن اليه، ذهب لينام... بيد أنه خطر له خاطر أفزعه، وجعله يرتد عن الفراش خائفاً. ان عليه أن يرحل غداً بمشيئة الله الى القاهرة في اول قطار يغادر «البندر» مع الفجر، ولهذا يتحتم عليه ان يستيقظ مبكراً، وهو لا يكره في الدنيا غير هذا الاستيقاظ المبكر الذي يرهقه ويحمل خالته ما لا تطيق، لانه لو نام واستغرق في النوم، فلا بد له من قوة خارقة لكي يستيقظ. ولهذا فهو يعتبر ايقاظ خالته له كل صباح حسنة من الحسنات الكبيرة، ان لم يكن لها في الدنيا سواها، فهي كفيلة بأن تدخلها الجنة بلا قيد ولا شرط. وخالته هذه الليلة لم تكن في الدار، فقد ذهبت لتبيت في دار العمدة لان زوجه قد أتاها المخاض من فجر امس. وزوج العمدة اذا جاءها المخاض فلا بد لخالته ولغير خالته ان يبقين عندها، ويقمن على خدمتها ليل نهار. وإذن فماذا يصنع لو نام وفاته اول قطار، وقد حدد له الاستاذ رئيس التحرير العاشرة من صباح الغد موعداً للقائه... وهل يظل مستيقظاً طوال الليل؟ ام ينام، ويعتمد على نفسه. ان الاعتماد على النفس في مثل هذه الاحوال ضرب من الجنون، ولون من الخبل لانه كثيراً ما يعود بالضرر على النفس بالذات، ولذلك قال ابن سينا في كتاب من كتبه: «اذا قالت لك نفسك في أمر ما اعتمد عليّ فيه، فاعلم بأن هذا ضرب من ضروب تغرير النفس بصاحبها، لان النفس يحلو لها احياناً ان تمزح.. وقد لا تمزح النفس الا مع صاحبها... وقد لا تمزح مطلقاً في جسام الامور» ونظر الى ساعته فألفاها الواحدة صباحاً، وهو يريد ان يغادر الدار في الرابعة والنصف فماذا يضيره لو ظل مستيقظاً هذه الساعات القلائل، ولما اقتنع بذلك فكر في شيء يشغله هذه الساعات، فذهب الى (الترابيزة) المتآكلة التي عليها المصباح الزجاجي الخافت، وعدة كتب قديمة متناثرة هنا وهناك، وجلس اليها، وراح يسوّد المقال الذي سيفتتح به حياته الجديدة في المجلة وكان عنوانه – وداعاً أيها الفقر – وما أن خلص منه حتى كانت الساعة قد بلغت الرابعة، فتناول حقيبته وغادر الغرفة بعد أن أغلق بابها ووضع مفتاحها الحديد فوق «خزنة» الارانب، وهو المكان الذي تعارف مع خالته على ان يختفي فيه المفتاح كلما غاب احدهما. ومن ثم انصرف الى الطريق فاستقبله نسيم الفجر الندي فملأ منه رئتيه، وما ان بلغ جسر القناة حتى حاذاه الى ان بلغ المدينة التي منها سيركب قطار الحكومة الى القاهرة. ولم ينس قبل ان يذهب الى المحطة ان يمر ببائع الفول وابتاع منه شقة من رغيف ملأ قلبها بالفول مع قطعتين من الطعمية، وكمية لا بأس بها من الطرشي ثم انصرف الى الطريق يقضم من نصف الرغيف، ويملأ فمه من هذه الاكلة التي يحبها، فقد كان يحب الفول ويعدد مآثره، حتى انه نظم فيه قصيدة من جيد الشعر كان عنوانها «جمان الحقل» صعد فيها بالفول الى مكان التقديس، وذكر فيها مناقب المدمس، وافضال النابت، ومآثر الطعمية ونعمة البيصار، الى ان بلغ المحطة فابتاع تذكرة «خضراء» الى القاهرة. وجاء القطار وهمّ بان يركب، ولكن تعذر عليه ان يحشر جسمه النحيل الضئيل المكدود بين هذه الاجسام التي حشرت حشراً في قلب عربات الدرجة الثالثة. وهاله الامر، وصفر القطار فامتقع لونه، وتدهورت انفاسه، وراح كالمجنون يبحث له عن منفذ ينفذ منه الى قلب احدى العربات، وهو يركض ادباراً واقبالاً يتطلع الى منافذ القطار، ومنافذ ابوابه، وهمّ القطار بان يتحرك، فأسقط في يده، وارتعدت فرائصه وشحب لونه وكاد يسقط مذهولاً تحت العجلات لولا ان احد الركاب اشفق عليه، فخاص نفسه اولاً من الزحام الذي هو فيه ثم مدّ له يده والتقطه من النافذة هو وحقيبته، كما يلتقط الاسد قطعة من اللحم وهو داخل قفصه. وما ان اطمأن الاستاذ الجلجموني الى انه ركب القطار فعلاً حتى عادت اليه انفاسه، وارتد اليه لونه، وحمد الله الذي رفع عنه هذا البلاء. فيا لو كان القطار قد فاته. بيد أنه بعد ان سار القطار قليلاً شعر بشيء من الضيق سببه له الزحام الشديد، والانفاس الحارة المتراكمة في قلب العربة، ثم ضايقته ايضاً قذارة المكان الذي تصادف ان وقف فيه، فقد رأى امرأة ريفية تقضي لطفلها حاجته على نفس

المقعد الذي تجلس عليه ، فتقززت نفسه الرقيقة واشمأزت ، وهمّ بان ينتزع قدمه انتزاعاً من مكانها ، ليبتعد عن هـذا المنظر الكريه الذي آذاه في نفسه ، فنظر يميناً ليشق له طريقاً ، فاذا به يرى اعرابياً يتشح بوشاح من الصوف الخشن ، واذا بهذا الوشاح رغم الرائحة العفنة الكريهة التي تتصاعد منه ، يسبح عليه القمل كما يسبح النمل على اناء فيه حلوى ، فارتعدت نفسه ، ورأرأت عينـاه ، وعادت انفاسه الى التدهور من جديد ، فهو يعرف خطر هذه الحشرة اللعينة ، ولا سيما في هذه الآونة بالذات . فلو ان هذه الحشرة مثلاً قابلته من ايام ، وهو في محنته وبؤسه ، ربما كان اكرم وفادتها ، وربما كان اعترها كما اعترت كليوباطره بالثعبان وخصصت له موضعاً مرموقاً في جسدها الجميل . اما انها تقابله الآن ، وهو يتعجل القطار الذي ينهب به الارض ، ومع ذلك لا يرضى عن سرعته ، ويتمنى لو انقلب الى بساط من ابسطة الريح ، ليوصله الى القاهرة في غمضة عين ، فهذا ما لا يمكن ان يحتمله او يسكت عليه . لذلك اسرع بتناول حقيبته ، وراح يدفع الناس دفعاً وهو يلعن ويسب هـذا الشعب الذي ينادي بتقرير المصير ، وهو كهذا القطار : في بولمان السادة جنة الخلد ، وفي مركبة العبيد جهنم الحمراء مع ان الذي يجر الاثنين قـاطرة واحدة ، والذي أنبت الاثنين قطر واحد ، الكلاهما فيه حق والكلاهما فيه نصيب .

وظل يدفع هذا ويترضى ذاك ، الى ان خلـاص من هذا العذاب الاليم وبلغ مركبة الدرجة الثانية فألفى منافذها هي الاخرى مزدحمة ، لان بعض الحشرات الآدمية التي خصصت لها مركبات المؤخرة في القطار ، قد تسللت مرغمة مثله ووقفت فيهـا وسدت منافذها ، فواصل جهاده والعرق يتصبب منه ، حتى بلغ مركبة الدرجة الاولى دون ان يحس ، فألفاها وثيرة مريحة لينة ، تبعث آلات تكييف الهواء في جوها نسيماً رقيقاً عذباً ، اعـاد الى نفسه الشاعرة شيئاً من الهدوء والاطمئنان . وضـاعف من هدوئه واطمئنانه ، انه حانت منه التفاتة فألفى امامه في الديوان المقابل فتاة تجلس وحدها ، وكانت رائعة الجمال ، على جانب عظيم من الرقة والانوثة الفياضة التي كمنت خلف اهداب طوال مسجـاة على خدين بلون الشفق ، وراعه هذا الجمـال ، وروّعته هذه الانوثة وشجته وحدتها ، ودون ان يدري مديده وتنـاول حقيبته ، ودلف الى الديوان الذي تجلس فيه وجلس قبالتها في عظمة ظاهرة استمدها من شخصيتها الطاغية ، واستقراطيتها التي ملأت المكان هيبة ورهبة . وغاظه انها لم تعره اهتماماً ، بل تكاد لم تشعر بقدمه ولا بوجوده معها ، وكل الذي حدث انه عندما جلس امامها حركت هدبها المسترخي ونقلت عينيها الدعجاوين من على صفحات الكتاب الذي كانت تقرأ فيه ، ونظرت اليه نظرة عابرة ، كما ينظر الانسان الى حشرة حقيرة . ثم عادت فردت الطرف الى الكتاب وواصلت القراءة كأن هذه الحشرة التي امامها من الحشرات الاليفة الـتي اعتادت ان تراها كل يوم .

وآلم هذا الاستاذ الجلجموني ، آلمه ان تحتقره امرأة على هذا الوضع المهين ، مع ان الله فضّله عليها — وللرجال على النساء درجة — كما قالت كتب السماء والارض ، فما بالك اذا كان هو يمتاز عن الرجال بميزة الادب والشعر . لذلك فالوضع الصحيح يحتم عليه ان يرد اعتباره فلو ان هذه الفتاة الجميلة حقاً ، الرائعة الانوثة حقيقة ، وجدت من أهمل فيها هذا الجمال ، وازدرى هذه الانوثة ، لما جرؤت على ان تحتقر الرجال مثلما احتقرته الآن ولما أهملته هذا الاهمال الذي آذى نفسه . وعلى هذا فلا بد له من أن يحتقرها ، لا لأنها احتقرته فحسب ، ولكن ليعلمها كيف تحترم الرجال ، حتى ولو كانوا من ركاب الدرجة الثالثة في قطار الحكومة . . لذلك استبدل بجلسته المؤدبة اخرى فيها قليل من القحة ، ووضع ساقاً على ساق ، وتعمد أن يواجه نعل حذائه ثوبها الحريري الهفهاف ان لم يكن وجهها الجميل البسام ، بيد انه ما ان فعل هذا ، حتى عاد فارتد عنه سريعاً ، ومن تلقاء نفسه وقبل ان تنظر هي اليه ، أو تفطن الى ما فكّر فيه ، فقد تذكر ان نعل الحذاء به ثقب كبير لولا ورقة سميكة من اوراق علب اللفائف وضعها بين الجورب والثقب ، للاح جوربه العفن متدلياً من ثقب الحذاء . . . ولو حدث هذا لأوجب احتقاره فعلاً ، وهو الذي يريد ان يجهرها على احترامه . لذلك قبع في مكانه مهموماً بعض الشيء ، لان ثقب الحذاء ، ذكره بحالته وبؤسه ، وما هو عليه من تفاوت عجيب في الارزاق ، اذا ما قورن جوربه هذا العفن وحذاؤه هذا المثقوب ، بهذا الجورب النايلون الذي يكاد يؤكل أكلاً من ساق هذه الفتاة ، وهذا الحذاء اللامع الذي يزين قدميها ، والذي هو اغلى ثمناً من كل ثروته مجتمعة ، حتى ولو أضيف اليها الصندوق المرسوم عليه الزناتي خليفة ، وأبو زيد الهلالي سلامه الذي ورثه عن جده لامه . . . وفكر في هذا كله ، بيد أن هذا لم يمنعه ايضاً من التفكير في كرامته التي أهدرتها هذه المتغطرسة . . . لذلك فضّل طريقة أخرى ، وهي ان يبدأها هو الحديث ، ويقول لها شيئاً ، ثم بعد ذلك يعطيها درساً في الاخلاق ، ووجوب احترام الرجل الذي فضله الله على المرأة . . ولكن شيئاً آخر حدث فجأة ، جعله يرتد

زائغ البصر ، مبهور الانفاس ، موتعب النفس ، فقد سمع دقاً هيناً يترامى الى اذنيه من بعيد ، فتذكر الكمساري ، والورقة الخضراء اللعينة التي في جيبه ، والمصير الذي سيؤول اليه في نظرها ، فيما لو أتى اليه الكمساري ، وعرفت أنه يجلس في مكان السادة وهو يحمل هذه التذكرة الخضراء ، الشبيهة بلون الرخصة التي تعطيها وزارة الداخلية للكلاب التي تحمل ترخيصاً بالاقامة في قصور الاغنياء . . انها لا بد ستحتقره اكثر مما كانت ستحتقره لو انها رأت النعل والثقب والجورب . اذن يهرب حتى يمر الكمساري ثم يعود فيجلس في مكانه . ولكنه ان فعل هذا ، فستفهم هي من غير شك ، وهذا ادعى الى احتقاره اكثر . . اذن يترك هذه العربة ويذهب الى مكانه في الدرجة التي خصصت له ولامثاله ، وان فعل هذا ايضاً فسيلاقي هنالك الموت كامناً في وشاح ذلك الاعرابي ، وهو لا يريد ان يموت . . ، وسيلاقي ايضاً المرأة التي تقضي لطفلها حاجته على نفس المقعد الذي تجلس عليه ، وهو لا يحتمل هـذا الاذى ، وحتى لو احتمله ، فكيف يحرم نفسه من هذا الجمـال الرائع الـذي نفذ الى قلبه من النظرة الاولى وان كان في قرارة نفسه يفرق بين الجمال الذي يريد ان يستمتع به ، وصاحبته التي يريد ان يرد لها السهم الذي جرح كرامته . اذن فالحل الوحيد هو ان يبقى في مكانه ، ولما استصوب هذه الفكرة اسرع بالانصراف والتقى خارج الديوان بالكمساري قبل ان يجيء ، وتفاهم معه على فرق الثمن في التذكرتين ، وانتهيا الى حل تأذى له جيبه تأذياً كبيراً . ثم عاد الى مكانه مبتهجاً ، لانه استطاع ان يكون انساناً ولو الى ساعة واحدة ، هي الباقية على وصول القطار الى القاهرة.

وحاول بعد ان جلس قبالتها ان يلفت نظرها اليه ، ولكن ذهبت كل محاولاته سدى ، فقد كانت الفتاة اثبت من ان تستميلها حركة من حركاته ، او لفتة من لفتاته . ولما نفد صبره ، تشجع وسألها في تطفل عن الكتاب الذي تقرأ فيه ، فأجابته دون ان تنظر اليه بانه الليالي لالفريد دى موسيه ، وكان يعرف شيئاً عن حياة هذا الشاعر ، فقال لها على الفور : — الرجل الذي قتلته امرأة . !

ولكنها لم تجب ولم تنظر اليه ، بـل واصلت القراءة ، كأن شيئاً في هذا السكون المحيط بها لم يحدث ، وغاظه هـذا الاهمال المقصود فقال شبه غاضب :

— اظن ان من تقرأ الفريد دي موسيه ، وبلغته ، كان يجب عليها ان تعرف ابسط قواعد المجاملة مع زميل لها في السفر .

فرمته بنظرة ادمت نفسه وقالت في قحة لم يكن ينتظرها :

— وكان يجب عليك ايضاً ان تعرف قدر نفسك ، وتعرف ان الذي ينتعل هذا النعل المثقوب ، ويرتدي هذا الجورب الكريه الرائحة ، ليس مكانه الدرجة الاولى .

— وحزّ ذلك في نفسه ، وغاظته منها هذه القحة ، فقال محتداً :

— وكان يجب ان تعرفي انه لو استقامت الامور ، لما كان هذا الفرق بين جوربك هذا النايلون ، وجوربي المتآكل ، ولا كان هذا الفرق بين حذائك هذا اللامع ، وحذائي المثقوب . ولو استقامت الامور ايضاً يا آنستي ، لما كان هذا الفرق بين قميصي البالي ، وهذا « الهوش » الذي يتلألأ على صدرك ، والذي هو تماماً كالفرق بين مقعدك الوثير الذي تجلسين عليه ، وتلك المركبـات التي اعدت للفقراء في قطار « المبعي » . فقالت ساخرة لتثير غضبه :

— لو لم تكن اهلاً لهذا الفقر ، لما خلقت فقيراً .

فقال محتداً والشرر يتطاير من عينيه :

— ثقي انني لم اكن اهلاً لهذا الفقر ، ولم اكن فقيراً يوم ان كان « محمد » يرتدي البـردة ويأكل الثريد ، ولكنني افتقرت يوم ان ارتدى « هارون » الدمقس وأكل « الفالوذج » .

ثم احتدم غيظه ، وراح يتفوه بألفاظ هو نفسه لم يعرف لهـا رداً ولا معنى ، ولكن الفتاة ثارت لها ، واعتبرتها اهانة لحقت بها وبكرامتها ، فتركته غاضبة ، وانصرفت . وبعد حين عـادت ومعها جندي من جنود القطار ، وامرته ان يقبض على هذا « الاستاذ » الذي اعتدى عليها باليد واللسان بعد ان طلب منهـا امراً يعاقب عليه القانون . وهنا ثار الاستـاذ الجلجموني ثورة هائلة ، وراح كالليث يذود عن كرامته المتهمة . وعلا صوته ، وهمّ ان يدفع عنه هـذه التهمة بسرد حقيقة الذي حدث ، ولكن القطار كان قد وقف في احدى المحطات ، فساقه الجندي الى مكتب بوليس المحطة ، وارغمه ارغاماً على التخلف .

ولما همّ القطار بأن يتحرك ، قالت الفتاة الجميلة للجندي بعد ان حيته بابتسامة تسيل عذوبة ورقة : — اذا احتجتم الي ، فعنواني على أبي ، صاحب ورئيس تحرير مجلة الفكر الحديث .

. . شيء واحد هو الذي آلم الاستاذ الجلجموني ، واثار حفيظته ، وجعله يسخط على الشرائع والقوانين ، ذلك انه لما ثبتت ادانته ، وحكم عليه بشهرين ، وساقوه الى السجن ، حالت ادارة السجن على الباب بينه وبين سقط الزند للمعري ، والحيوان للجاحظ ، وتلك الرسالة في علم التوحيد ، التي أكلت الصراصير اسم مؤلفها .

القاهرة — امين يوسف غراب

في وادي الموت

همس الخلود

عبد القادر محمود

الى روح الشاعر الياس ابو شبكة
بمناسبة الذكرى الثانية لوفاته

●

●

تلك الروح العظيمة التي هربت الى الجوزاء
بعد ان عرفت سر الارض
ها أنا اكتب اليك وليس امامي الا شواهد قبور
في شحوب المساء تتاوج على امواج السيمفونية
التاسعة لبتهوفن الذي اعيش معه الآن
فاستمع لي معي حتى نلتقي

ها أنا جئت الى الدنيا بحبي
ليس ذنبي انني احمل قلبي
قلت لليل وقد ران الظلام
فأجاب الليل لا تلق الملام
لا تسلني كيف غنيتُ نشيدي
وأفاعي الهم ان رامت وجودي
سرتُ والشك طريقي للحياة
غير أني لم اجد خمر الشفاه
قلت للنور تمهل انما
فاشرأبّ النور طيفاً حالمًا
كلُّ ما نبغيه أنا نشتهي
غير ان الحلم فينا ينتهي
نحن في سجن الاماني كالندى
غير ان الورد ظمآن الصدى
دقت الاجراس في الافق البعيد
والضحى والليل خمر وقصيد
أيها الساري تأمل في الرمال
سر ولا تعجل فقد ساء المآل
خلف احزانك فانظر انما
واذا شئت حياة رمتها
ما وراء الحائط البالي أجبني
وأرى في الافق من اشباح حزني
انني انظر حولي يا ابن امي
وارى في الوهم امسي قبل يومي
نحن لا نملك في الدنيا الخيالا
واذا رمنا الهوى رمنا ضلالا
فجعتني دودة الارض وقالت
كلنا في الكون ظل، وتوارت !!
ايها الاحزان مهلًا ما الذي
والى اين ؟ اجيبي فالذي
ولمن تُحمل هذي الامنيات ؟
لظلام الارض؟!.! ويح البسمات
ذلك المحمول في النعش فداء
وهو للديدان ريٌّ وغذاء
انّ للاحلام عيناً لا ترى

اسأل الليل عن السر الدفين
فضباب الليل ملتاع الشجون
ها انا يا ليل روح لا يطير
انني مثلك في القيد اسير
فأنا الآن هنا غيري أنا
فنشيد الخلد كان « الأرغنا »
فرأيت الافق ضحيان الجبين
غير جمر مسه شهد الحنين
هذه الدنيا ضياء من ظلام
وتوارى في جلابيب الغمام
قبّة الجوزاء مرعىً ومآبا
وهو لم يعدُ خيالا او سرابا
ينشر السحر على ثغر الورود
وضياء الشمس قتّالٌ حقود
ومرايا الناس في الكهف ظلام
غير ان القيد حر لا يضام !!!
ان تحت الرمل من خطوك شعرا
ومراد النفس ان تحمل ذكرى!!
ترحم الافق نشيجاً ونواحا
فابتعد عنها ولا تسق الجراحا
انني اسمع أناتي بأذني
موجة الاهوال لا تنفك عني
فأرى الدنيا جنانا في جحيم
كعذارى النور في شط السديم
فلماذا نحسب الايام جيلا
ورأينا السفح كالافعى اكولا !
انني كالشمس في حضن الاله.
فاجبت الدودة الملساء . . . آه
يحمل النعش من الدنيا اللعوب؟
خلف احلامي فضاء لا يذوب
ولمن تلقى ؟ اجيبي اضلعي
كلها راحت كذوب الادمع
لدم الارض الذي حنّ اليها
وفناء الطين محتوم عليها
غير ظلماء تعرّت في الفضاء

ويرى الانسان فيها ما يرى
يا نشيد الغاب ما خطب الليالي
قال لي الغاب تمهل في الخيال
حين يمسي الليل صديان الاسى
وتراه كسحابات المسا
... صه فما انت براء ههنا
والصباح النضر ريان السنا
والعيون النجل تبكي وتسيل
والدماء الحمر تهمي وتقول
يا شعاع العقل في نهر الجنون
او تظن الفجر في صبح اليقين
ما الذي تبغيه من دمع صبيب
خله للطين يحيا ويذوب
قد شكا الطين لماذا انا افنى؟
نحن جئنا لا تسلنا كيف جئنا
اصنع الانسان زهراً للجمال
واصنع الموت حياة كالخيال
قال لي الطين تلفت في العراء
عطر هذا الورد من حر الدماء
نحن نهوى الورد هل نهوى الغرام
والعذارى البيض في اللحد رمام
ان هذا الموت لون وكساء
ليس في الحق ممات او فناء
امسك الحفار بالمعول حتى
وانهوى يردم في الحفرة ميتاً
وعلى الجميز في همس الغروب
ومن البوم نعيب ونحيب
غرد العصفور في الوكر وغنى
والسكون الرهو في الوديان أنّا
انه يلمس اطراف الجذور
ويحس الهول في ليل القبور
لا تقل اعمى من اظلمت عيونه
ويراه النعش ميتاً فيخونه
اترى يسمع اصوات الشجر؟
ام ترى هو في ثلج الحفر؟

من خيال وهو لا يدري الفناء
حين موت ونجوم الليل تبكي
نحن اصداء وصوت الموت يحكي!
لن يرى الزارع بل ينكو زرعه
في غروب الشمس لا يرحم دمعه
غير نعش يدخل الارض ليفنى
لا يبالي النعش ان ذاب وأنّا
وعيون الاثم تهفو للعذاب
ايها الانسان رفقاً بالحراب
لا تظن الصخر لا يعرف ربه
فستار الليل لا يعرف ذنبه
وعزيف الموج خفاق حنون
وارو نار الارض من غيث الشجون
ولماذا ترجع الموتى الينا ؟!
رب طين صار كأساً في يدينا
ومن الثغر وروداً كالشفق
وانشر الاضواء في ليل الافق
او تدري كنه حر لا يضام
والعشب النضر من جسم الانام
انه طيف ثغور وخدود
غير ان الثغر كرم وورود
وسنا الروح كأضواء العيون
ايها الطين سوى طيف المنون
فتح الهوة للغازي العلم
اخذ الاجر عليه وابتسم
شمة الاحلام تذوي في الشفق
يُسمع الاكوان اشجان الغسق
بين اشباح الدجى غول الفناء
بينما الميت مقرور الرداء
تحرق التابوت في همس كئيب
ويرى عينيه في الترب تذوب!
انه يرنو ولكن بعماه !!!
ويذوب النعش لكن في دماه
حين تغفو ونعيب البوم يحكي
كشموع في مهب النار تبكي

ايها الاحياء غنوا وارقصوا
وغداً يذوي ويفنى المرقص
يا عذارى الحسن يا نبع الفتون
كل ما قد كان في الدنيا يهون
ان سحر المهد من طيف الضريح
غير أن الوهم طب للجريح
ايها المحزون رفقاً بالجراح
او ترجو الامس في مسرى الرياح
اين نفح العطر والامواج تسري
لا تسلني فأنا ادرى بسري
هل رايت الليل والغيلان تحبو
لا تظن الوهم وهماً وهو كرب
في نعاس الليل لا الموتى نيام
انما القبر شجون وكلام
انهم يمشون ليلاً في الخفاء
والصدى المجروح يسري للفناء
كل ما في الكون حلم وخيال
وهو في الشطآن همس وظلال
انه في النور والنار سواء
وهو للانسان روح وعزاء
وهو في الشمس ضياء خافق
وهو في النجم شعاع دافق
وهو في الصبح عبير وجمال
وهو في الانهار شعر وجلال
وهو في الروح شعاع مقمر
وهو في الصمت بيان اكبر
ويح اص الليل من عمق الحفر
هو يهذي من يراني؟ .. ما القدر؟
لا تقل لي انما الدنيا فناء ...
انت لا تدري وقد رمت الشقاء ...
لا تقل لا ... ان عمق البشر يدري
لا تقل لا .. ان روح الله تسري
إيه « الياس » على هام السماء
انت في الافق نشيد وضياء

القاهرة

فضياء الفجر لا يرحم دمعا
ويعود القبر للاهوال نبعا
ويح سيف الموت من سهم العيون
غير سحر مسه برد المنون
وكئوس الراح من طين وماء
منه يروى وبه يُسقى الفناء
كل شيء قد تولى سوف ينسى
خل عنك الهم لا تجعله رمسا
اين ضوء البدر والليل شجون
سل شعاع العقل عن نهر الجنون
وعلى الشطآن تجري وتطير ؟!
ينثر الاشباح في هول القبور
لا ولا القبر غريق في السكون
ورمام حولها رسم السنين
انشيد الغاب في الكهف العميق
مثلما ولوا الى الغور السحيق
غير ضوء خالد في الافق غنى
وهو في الجوزاء روح ليس يفنى
وهو في الصحراء ترنيم الخلود
وهو للاكوان عنوان الوجود
يفعم الوردة بالنور العليل
ينشر الاضواء والظل الظليل
وهو في الليل ستار وغطاء
وهو في الموج نشيد وضياء
وهو في الارض فداء للحياه
وهو في الدنيا وفي الاخرى إلٰه
حين يسري وافاعي الشر تسري
والدجى الساري كعشب فوق بحر
فاعبد اللذات في سحر الحياه
نحن نحيا؟؟؟ لا فنحن الحلم .. آه ...
بالذي توحيه ذرات الرمال
في سماء البيد في صمت الجبال
سبح النور ودمدم بالغناء
ليس غير الموت من يلقى الفناء

عبد القادر محمود

من مجالي الغنائية في الشعر العربي

من نشأته حتى انهيار الدولة العباسية

●

بقلم نسيم نصر
استاذ الادب العربي بالكلية الوطنية بالشويفات

☆

الغنائية هي المدى الرحب الذي طوفت فيه جماعات عديدة من شعراء العالم ، وخاصة شعراء العرق السامي ، مجنحي البيان رشيقي الايقاع ، يستلهمون سماوة الخيـال ، ويستمدون نوافح الفكر راضين مطمئنين ويستهبون زعـازع الغيب مغضبين نابين ، وبين هذه وتلك يخضبون ابياتهم بروائع الالوان ويمسحونها بأطياب القلب أو يغمرونها بأهواء النفس الجائشة .

وهكذا ارتوى هؤلاء الشعراء من منابع الانسان فعكسوا شخصياتهم على مرايا نفوسهم بأمـانة ، او عبروا عن مشاعر من حولهم بعناية ، او صوروا بعض مـا يحيط بهم باتقان . ولئن قصروا من الناحيتين الابداعية والبطولية ، فانهم اعـاضوا الشعر عنهما بما جاش او استدق من النزوات الداخلية في الانسان واحكموا صيغها في منسجم من التعبير ، افضل ما يقال فيه انه صور يشبتها اشعاع الذات واستعراض البيئة واستبقاء الحوادث والواح الرؤى الخالدة في حدود القافية المنساقة بالايقاع الموسيقي .

ويظهر في الصف الاول من الغنائيين العالميين شعراء العرب في فجر عصورهم . ومن تناول الشعر الجاهلي بالدرس احس بتراخي الوحدة الموضوعية او بفقدانها ، فانثنى الى ذاته يسائلهـا : « اين هؤلاء من الادب الموضوعي » ؟ انهم لم يكونوا ، في تلك المرحلة من عمر الآداب ، منصبين على توجيه معين من الفكر اولون مفروض من الصورة او تعليل مروض من الحكمة ، بل كانوا يجعلون من شعرهم مذكرات يجمعونها ، رغبة منهم في ادخارها وعرضهـا عند الحاجة . وانت ان قرأت معلقة عمرو بن كلثوم مثلاً ، رأيت فيها احتكامه الى ابن هند ، صاحب الحيرة آنذاك الى جـانب افتخاره بجذف رأس ذلـك المليك الحكم . واذا اخذت معلقة طرفة بن العبد باحثاً فيها اوشكت ان تلمس الفتى الجاهلي اللاهي مرخياً العنان لنزوات الفتوة ماتعاً ما شاء له الشبـاب ، موصياً بالمروءة ما عاشت النخوة . واذا عكفت على مطولة زهير تراءى لك الرجل الحكيم يتناول اموره بمعيار ويخاطب النـاس بمقدار ويبسط لك دنيا من الفهم توشك ان ترقى الى محـاولة في رسم الخطوط الاولى لادب الاجتماع .

وبعد ان تطمئن الى نفحة الايمان البكر في شعر لبيد وتنعم بفيء التعزية الزاهدة في عرض الحياة الزائلة معه ، تعال نعبر مرافقين حساناً بن ثابت ، شاعر الرسول ومجاز التحول الجزئي ، بين الجاهلية وصدر الاسلام الاول ، فنغمر بفيض الركون ونستهوى بهمس الايمان الموحد .

واذا جئت الصدر الثاني للاسلام اطل عليك ، من عـاصمة الامويين ، الاخطل التغلبي ، محامي السدة الجديدة وشاعر البلاط ونافخ ريح الخمرة ، حاملة عبق الفلسفة « الذهولية »[1] ، في الشعر العربي . وان لم يحس اصحاب القراءات الخاطفة في « مناقضات » الاخطل وجرير والفرزدق غير هراش وسباب ، وان لم يرَ بعض المطلعين على مساجلات العصبيات والاحزاب الشعرية الـتي كان ابطالها بعض كبار شعراء بني امية من جهة ومقدمي شعراء الشيعة من جهة اخرى يومئذ ، غير التفاحم بخبيث القول ولاذع التهم ، فاني لاستطلع فيها ، على ضراوتها ، ان صح التعبير ، دنيـا من النزعات وارجوحة من الميول ومعرضاً لمراحل حاسمة في التاريخ ، فالشاعر كان في ذاك العهد خطيب زمـانه وصحفي حواضره واحزابه وصناجة باديته ومذياع دعوته . ولقد كان الشاعر الاموي ،

---

(١) اصطناع تعبير ايجازي يفسر غاية المسكر التمويهية .

فوق ذلك، كان « مقترح[1] » الخلافة بالارث وموجه السياسة بالشعر .

ولئن نسينا ان نضع الى جانب ما تقدم ثروة الشعر في الغزل او فيض الحب في الشعر فقد اصبنا الغنائية بسهم في الصميم ، فمن حب بني عذرة شدت خيوط النور في جوانح الانسان الجنح العاطفة ومن روائع عمر بن ابي ربيعة لبست ابكار عرائس القلب لباسها المونق وهفت الى ملاقاة الاحباب مزينة ببهجة مطيبة ساترة نزوات الاباحية بطرف الفن الغنائي .

اجل ، ان الغنائية المؤرخة المدافعة عن الدين المرافعة في سبيل الملك المترجمة عن نزوات القلب في ميوله واهوائه واباءاته ، لهي غنائية تحيي العصر الاموي مـا استمر القلب البشري نابضاً بالحب وتنمى الى البقاء مـا بقيت اساليب الكلام المنظوم انشودة الاسماع في البلاغة .

وما بال الامم تستعرض تاريخها وذكرياتهـا الحافزة وتبعث حية امجادها واجدادها في نقش على حجر او بقية من مومياء او اشارة باقية فوق جماد . بينا يستوهننا تفهم هذا الغناء في لغة الوحي وموسيقى الاجيال لنضم انفسنا ونضع المرافق نخافي هذا الارث الادبي احياء في اناشيدهم نتحسس فيها وجوه الحياة وخلجـات الصدور فكأنها مرافقة الحي للحي .

وما ان بلغت غنائية الشعر العربي ظلال الدولة العباسية حتى انصهرت فيها احاسيس طوائف كثيرة من الاعاجم أخوالهم البيان العربي من الامم التي شملتها بغداد بسيطرتها او الذين أموهـا موالي او مسترفدين نعم البلاط العباسي . ومد الشعراء العرب جنساً واصلاً اقلامهم فلقحوها بالمذاهب الادبية الجديدة في دنيـاهم وزينوا نتاجها بفن لم يكن لهم قبلاً اذ كانوا ما يزالون محافظين على سمات البداوة متأثرين بالطبع وحده ، وذلك الطبع كثيراً مـا كانت تغلب عليه السذاجة ، ولكنها السذاجة الحلوة المستحبة النابية عن التخبث والمترفعة عن المتع والمجون التي اصبحت مألوفة في هـذا العصر . ولكن ما لنا وللنقد المسلكي ، ونحن نقصد الى اعلان العهد العباسي مبلغ الاوج في طريق الغنائية العربية ؟

أليس بشار بن برد ، وهو من ابعد الشعراء عن التقيد بواجبات الاجتماع في مختلف مفاريضه وتنوع ضوابطه يطالع على آفاق الشعر من سماء الفن الغنائي مدللاً بشاعرية هي من الخصب والروعة في مواكب الخلود ؟ ولكنه الشعر المستحدث من معـادن اللذة ومزيج الاهواء والمنازع ينفحك بعطر من نسائم الفن ، كما تفعل الطبيعة في تكييف عناصر السماد لتملأ المشـام بالشذا والعيون بالبهجة والمجالس بروائع الالوان والمزاهر .

وربما انساقت الغنائية بعض شوارد الفلسفة وتفتحت لها بعض مغاليق الفكر كما حدث لابي نؤاس . وانه لمن العجب ان يترسم هذا الخبيث الماتع الماجن مسالك النفس ويستبيح مكنوناتهـا بضروب من الشعر خلدت متحفاً أثرياً وسجلاً صادقاً حتى الوقاحة في استعراض زمانه ، فهو في خمرياته « خيام » العرب يغرف من تلك الفلسفة الذهولية التي حمل لواءها في الشعر العربي . وهـي فلسفة ترافق الصحة والشباب غـالباً فتختصر طريق الانسان في مدارج الحياة ، فلا تصله بما قبل الرحم ولا تشغله بما خلف القبر ، وتحجزه ناعماً بما تيسر رخي البال يجني ورود الحياة غير عابىء بقيود الاخلاق .

أليست غنائية العرب الساميين هي التي تفـاعلت في نفوس بعض شعرائهم المثقفين فكونت جناحاً آخر للشعر العربي نسجته النفوس المؤمنة وحلقت به في جو خاص فكانت الصوفية ، فطلع ابن الفارض وابن عربي وابن سينا في عينيته ، رسل روح رمزية في البيان الشعري العربي ، ومالت ببعض اعلامهـا الى الحكمة وطوفت في ارجاء الفكر والتجاريب واستساغت من ضروب الفلسفة الروائية ما حلاها فكان ابو تمام والمتنبي وابو العلاء المعري ؟ وهذا الاخير استحق ، على عمـاه ، ان نسميه ابصر الشعراء في ظلمات النفس واهداهم الى اساليب الانشاد الساخر من الحيـاة والمزري بكبرياء الانسان عن اوجها الى حضيض الضعة والاستخفاف حتى القول بانقراض الجنس البشري .

اما الغنائية التي كانت تصدر عن منابع النفس مختلطة بتأثرات الحواس ، والتي بدأت تنفح الادب العربي بروائعها ، منذ اقـدم عصوره ، فقد كان رامحو خطوطها الاول اوساً وزهيراً وكعباً والحطيئة فعُرف هؤلاء ومن نسج على منوالهم بشعراء « المدرسة الاوسية والزهيرية » المشهورة في الاغاب ، بتصويرها الحي .

وضعف شأن هذه « المدرسة » في صدر الاسلام الثاني خاصة ، لانصراف الشعراء ، في تلك المرحلة ، الى خدمة السياسة والاحزاب والخلافة انصرافاً ألهاهم عن العناية بهذه الناحية المصورة ، فلم يستمر فيها بارزاً الا في الغزل الناهض ، على عذريته واباحيته ، الى تمثيل العواطف والمحاسن والمغامرات تصويراً بلغ حدود الروعة فبقي ، حتى اليوم ، مثالاً يرمى اليه في بدائع جميل وعمر وغيرهمـا من الغزلين المقدمين .

(١) اشارة الى الايجاز السري الذي قوّل مسكين الشاعر في مجلس معاوية الاول : « اذا ما المنبر الغربي خلاه ربه فان امير المؤمنين يزيد

مدارس بيت المقدس ومعاهدها

المقدمة : من القرن الاول الى القرن الرابع عشر الهجري

•

بقلم احمد سامح الخالدي

عميد الكلية العربية بالقدس

☆

كلمة عامة

تجتاز البلاد المقدسة الآن دوراً عصيباً يشبه ما قاسته على ايدي التتار في القرن السابع الهجري . والذي يظهر ان حرباً كالحروب الصليبية قد نشبت في هذا الجزء من العالم وما يرى الآن ليس سوى البداية .

وقد ردد الخصوم ، وبعض المغرضين من الغربيين ان القدس هي مدينة يهودية ، بحجة ان عدد سكانها من اليهود يزيد على سكانها العرب . واقترحت اللجنة الدولية جعل القدس وما حواليها منطقة دولية ، وتصر الاحزاب الصهيونية المتطرفة على ان تجعل من القدس عاصمة « لاسرائيل » .

والحقيقة الراهنة ان القدس ، كانت وما زالت مدينة عربية مئة في المئة ، وان الاحياء اليهودية في الاقسام الشمالية والغربية والجنوبية من القدس الجديدة هي ، احياء خارجة عن القدس ، بل هي اشبه « بضواحي » منها باجزاء من المدينة المقدسة . وقد شاءت سياسة الوطن القومي ان تضم هذه « الضواحي » الى المدينة ، لاغراض سياسية تمشياً مع السياسة في عهد الانتداب البائد .

على ان بحثنا هنا انما يتناول ناحية خاصة من بيت المقدس ، وهي ناحية المدارس والمعاهد والمؤسسات العامة التي وجدت في القدس من القرن الاول الى القرن الرابع عشر الهجري . وقد احصينا ١١٢ معهداً علمياً عاماً في هذه العصور ، حاشا ١٢ معهداً او يزيد في العصر العثماني المتأخر في القرن الرابع عشر الهجري . وقصدنا من هذا البحث ان نظهر ان بيت المقدس هي مدينة عربية ، في تاريخها وآثارها ومعاهدها وقد كانت كذلك وما تزال منذ القرن الاول الهجري .

وقبل الشروع في وصف هذه المعاهد ، وبيان مؤسسيها ومن درّس فيها ، رأينا ان نأتي على مقدمة تاريخية مختصرة تصف للقارىء الكريم الحوادث الكبرى التي حدثت في كل قرن ، وتبين علاقة هذه الحوادث ببيت المقدس ، ثم ذكر اسماء كبار رجال العلم ، والفقه ، والتصوف الخ . . . في العالم الاسلامي ، في مختلف العصور ، كي يستطيع المرء ، ان يربط هذه الاسماء بتاريخ المدينة وما قام فيها من المعاهد العامة . ويمكننا القول انه اذا استثنينا المسجد الاقصى ، الذي كان

وكان على خزانة الشعر العربي ان تنتظر البحتري وابن الرومي لتعرض الغنائية لوحات دقيقة الالوان واضحة الوجوه مستطرفة الفن ، فتبدو فيها على شرف من الخلود ملاءمة بين الجمال والموسيقى وبين الايقاعين اللفظي والمعنوي ، وعن محاسن هذا الوصف اخذ كثير من شعراء العرب ، الى ان طلع الشعر الاندلسي موسوماً بمفاتن الطبيعة مسترخياً للعواطف يلين بلينها ويأسى لاساها ويتفلت ، من قيود القافية الموحدة لايقاع الابيات فكانت الموشحات وكأن بعضها « قطع الرياض » .

وجماع القول ان العرب لم يستقم لهم سبيل الى الملحمة في نطاقها الواسع فحملوا لواء الغناء في لغة خلقت طيعة لتمثيل حالات النفس البشرية وقرضوا شعرهم في اوزان لها من موسيقاها وانسجام قصيدها ما ارتفع بخلود ايقاعها الى مرتبة ابداع الملاحم ، ومشت على العصور الطويلة تحتضن ما تستحدثه الخواطر من انغام ، وهي وليدة الحداء في البادية ، وهكذا باهت الصحراء بابداع الغناء أخاً للوحي وجناحين للخلود .

نعيم نصر

وما زال تلقى فيه دروس الدين والعربية ، فان المؤسسات ابتدأت تنتشر في القرنين الرابع والخامس ، وكثرت في القرن السادس (العهد الصلاحي) وزادت في القرن السابع ، وتضاعفت في الثامن، وقلّت في التاسع والعاشر ، واخذت تتلاشى فيما بعد الفتح العثماني (٩٢٢هـ - ١٥١٧ م) ، وصارت تكثر في بلاد الروم (الترك) . هذا ولا يزال القسم الاكبر من هذه المعاهد قائماً حتى الآن يستطيع ان يشاهده كل من يزور بيت المقدس .

وبديهي ان يكون اعتمادنا في البحث عن مدارس القدس ومعاهدها مجير الدين الحنبلي المقدسي [1] ، مؤرخ بيت المقدس الحجة والذي يرجع الفضل اليه دون سواه في تدوين المذكرات التفصيلية عن حوادث عصره (التاسع الهجري) ووصف هذه المعاهد وبيان مؤسسيها ومدرسيها ، فهو الذي يعطينا صورة واضحة جلية ، عن القدس، والخليل، بل وعن فلسطين عامة، حتى نهاية عصره، القرن التاسع . ولقد استطعنا ان نضيف الى هذه المعاهد بعضاً مما لم يذكره مجير الدين ، كما ارجعنا البعض الآخر الى مؤسسيها مما لم يتعرض له مجير الدين ايضاً .

مقدمة تاريخية : القرن الاول

ان مصادرنا عن بيت المقدس في القرن الاول ضئيلة، ويمكننا ان نرجع الى هذا القرن ثلاث مؤسسات هي :

(١) مسجد عمر في المسجد الاقصى .
(٢) مسجد الحيات العمري ، في حارة النصارى .
(٣) المسجد الاقصى وقبة الصخرة .

ولقد كانت غزوة مؤته في السنة الثامنة للهجرة (٦٢٩م) وهي مبدأ الفتح العربي للاردن وفلسطين بل للشام قاطبة، وتوفي الرسول في السنة الحادية عشرة (٦٣٢م) وكانت واقعة اليرموك في السنة الخامسة عشرة [2] (٦٣٦م) وفتح بيت المقدس صلحاً في السنة السادسة عشرة (٦٣٧م) على يد عمر بن الخطاب وهكذا دخلت هذه المدينة المقدسة في حوزة العرب والاسلام .

ثم فتحت مصر سنة احدى وعشرين (٦٤١م) وتوفي عمر بن الخطاب بعد ذلك بسنتين ، وغزا المسلمون قبرص (قبرس) في سنة ٢٧ للهجرة (٦٤٧م) ، كما غزوا افريقية وفتحت الاندلس في سنة ٩٢ هـ (٧١٠م) .

وامتاز القرن الاول، قرن الخلفاء الراشدين بالفتوحات العربية

(١) صاحب كتاب الانس الجليل ألفه سنة (٩٠١ هـ ١٤٩٥ م) .
(٢) او الثالثة عشرة .

وتوطيد الملك العربي وتوسيعه من قبل بني امية .

وممن اشتهر في هذا القرن عدا ابا بكر وعمر وعثمان وعلي بن ابي طالب (رضوان الله عليهم) والصحابة الاكرمين ، حسان بن ثابت (٥٤ هـ -٦٧٣م) وعمر بن ابي ربيعة (٩٣-٧١١م) والاخطل (٩٦هـ -٧١٤م) وابو الاسود الدؤلي (٩٩هـ-٧١٧) [1] واضع علم النحو، وذو الرمة الشاعر (١٠١هـ-٧١٩) والفقهاء .

قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم لما مات العبادلة عبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن الزبير ، وعبدالله بن عمرو بن العاص ، صار الفقه في جميع البلدان الى الموالي ، ففقيه مكة عطاء، وفقيه اليمن طاووس، وفقيه اليمامة يحيى بن ابي كثير، وفقيه البصرة الحسن البصري، وفقيه الكوفة ابراهيم النخعي، وفقيه الشام مكحول وفقيه خراسان عطاء الخراساني ، الا المدينة فان الله تعالى حرسها بقرشي فقيه غير مدافع هو سعيد بن المسيّب المخزومي (شذرات الذهب ج ١-ص١٠٣) .

وقد تم على يد الامويين اقامة بناءين من اضخم واجل وافخم ابنية الاسلام ، اصبحا على ممر السنين من اشهر مراكز العلم: الاول المسجد الاقصى وقبة الصخرة في عهد عبد الملك بن مروان (٦٩ هـ - ٧٢ هـ - ٦٨٨ م - ٦٩١ م) على يد يزيد بن سلام ورجاء بن حياة ، والثاني جامع دمشق الذي بدىء به سنة ٨٧هـ (٧٠٧ م) في خلافة الوليد بن عبد الملك .

القرن الثاني

وقد تميز هذا القرن بشعرائه ، وفقهائه ، وانتهاء دولة بني امية في المشرق ، وقيام الدولة العباسية في سنة (١٣٢هـ -٧٤٩ م) وظهور التصوف والمتصوفين .

ومن الشعراء ورجال الادب كثير عزة (١٠٥ هـ - ٧٢٣ م) وجرير (١١٠ هـ - ٧٢٨ م) والفرزدق (١١٠ هـ - ٧٢٨ م) وابن المقفع ١٤٢ هـ -٧٥٩ م) وحماد الراوية (١٥٥ هـ- ٧٧١) وابو دلامة (١٦١ هـ - ٧٧٧ م) ومجنون ليلى (١٧٠ هـ ٧٨٦م) والعباس بن الاحنف (١٩٣ هـ - ٨٠٨ م) وابو نواس (١٩٦ هـ - ٨١١ م) وغيرهم .

ومن رجال الفقه والدين والتصوف ، واصل بن عطاء المعتزلي (١٣٢ هـ - ٧٤٩ م) [2] والامام الاوزاعي (١٥٧ هـ -٧٧٣ م)

(١) وضعه بأمر علي بن ابي طالب ، وهو اول من نقّط المصاحف النقط الاول على الاعراب (صبح الاعشى ج ١-٤٣٠) .
(٢) هو اول من صنّف في علم الكلام (صبح الاعشى ١-٤٣٠).

دفين ساحل بيروت وصاحب المذهب الذي ظل سائداً في الشام حتى القرن الثالث. ورابعة العدوية (١٣٥ هـ ٧٥٢ م) والامام ابو حنيفة (١٥٠ هـ ٧٦٧ م) وابو سفيان الثوري (١٦١ هـ - ٧٧٧م) والامام مالك بن انس[1] (١٧٩ هـ -٧٧٥ م) وابو علي الفضل ابن عياض المتصوف (١٨٧ هـ - ٨٠٢ م) ومعروف الكرخي الصوفي (٢٠٠ هـ - ٨١٥ م) . ومن رجال اللغة سيبويه (١٦١هـ - ٧٧٧ م) في النحو ، والخليل بن احمد[2] (١٧٠ هـ - ٧٨٦ م) مستنبط علم العروض، والكسائي(١٩٨ هـ - ٨٠٤م) . وابتدأوا في هذا القرن بتدوين الكتب والرسائل .

واسس المنصور بغداد سنة (١٤٥ هـ ٧٦٢ م) وتوسع الملك العربي ، وازدهرت الآداب والعلوم ، وزاد نقل الكتب الى العربية ، وكان قد بدىء بذلك في عهد بني امية ، وتوفي هرون الرشيد (١٩٣ هـ - ٨٠٨ م) وقتل الامين ، وفتح هرون الرشيد في هذا القرن بيت الحكمة في بغداد ، ولا نعرف تاريخ افتتاحها. وهي مؤسسة علمية فيها مكتبة ، تعرب فيها الكتب وتنسخ وتلقى فيها الدروس ، وقد سبقت هذه المؤسسة دور العلم العباسية والفاطمية التي كثرت في القرن الرابع خاصة .

وليس فيما نعلم ما يدل على اي اثر للعباسيين في القدس ، حاشا كتابة في قبة الصخرة ، نقشها بالفسيفساء عامل المأمون ، وذي التاريخ ، واصلاح المسجد في عهد المنصور ثم المهدي على اثر الزلزال كما لا نعلم انهم تركوا اية مؤسسة علمية او اي اثر آخر في بيت المقدس .

القرن الثالث

يستهل هذا القرن بقيام المأمون وفتوحاته ، وتأسيسه دار حكمة ، وقد سبقه والده هرون الى تأسيس مؤسسة شبيهة بذلك ، ثم قيامه بامتحان العلماء في مسألة خلق القرآن ، مما كان له ابعد الاثر في تطور التفكير الاسلامي في هذا القرن وما بعده .

ومن فقهاء هذا القرن الامام الشافعي[3] (٢٠٤هـ ٨١٩م)وابو عبيدة معمر بن المثنى (٢١١هـ٨٢٦م)[4] والامام احمد بن حنبل[5]

(١) هو اول من صنّف في الفقه ، صنّف كتابه الموطأ (صبح الاعشى ج ١ - ٤٢٠) . (٢) هو اول من صنّف اللغة مرتبة على حروف المعجم صنّف كتابه (العين) صبح الاعشى ج ١ - ٤٢٠ . (٣) هو اول من صنف في اصول الفقه، صنف فيه كتابه الرسالة . (صبح الاعشى ج١-٤٢٠) .
(٤) هو اول من صنف في غريب القرآن (صبح الاعشى ج١-٤٢٠) .
(٥) في ابن النديم ص١٠١ (ان ابا عمرو الشيباني كان يؤدب في احياء بني شيبان فنسب اليهم بالولاء، ويقال بالمجاورة وبالتعليم لاولادهم وكان راوية واسع العلم باللغة ثقة بالحديث .كان يلزم مجلس ابي عمر الشيباني احمد بن حنبل (توفي ٢٤١ هـ) .

(٢٤١هـ٨٥٥م) والبخاري (٢٥٦هـ-٨٦٩م) ومسلم بن الحجاج بن مسلم صاحب الصحيح (٢٦١هـ٨٧٤ م) وابن ماجة صاحب السنن (٢٧٣هـ-٨٨٦م) وابو داود السجستاني صاحب السنن (٢٧٥هـ-٨٨٨م) والترمذي صاحب السنن(٢٧٩هـ-٨٩٢م) والدارمي صاحب السنن(٢٨٠هـ-٨٩٣م) ويصح ان يعتبر هذا القرن ، ويوصف بقرن الفقه ، وتنظيمه وتدوين الحديث وتبويبه وترتيبه وتنقيحه ، كما ظهر فيه عدد من المتصوفين والفلاسفة .

ومن رجال الادب والشعر فيه ابو العتاهية (٢١١ هـ ٨٢٦م) والاصمعي(٢١٦هـ-٨٣١م) وابو تمام الطائي (٢٣١هـ-٨٤٥م) وابن الاعرابي(٢٣١هـ-٨٤٥م) ودعبل الشاعر (٢٤٦هـ-٨٦٠م) والجاحظ (٢٥٠هـ-٨٦٤م) والبحتري (٢٨٤هـ-٨٩٧م) وابن الرومي (٢٨٤ هـ-٨٩٧م) وعبدالله بن المعتز (٢٩٦هـ-)[1] .

ومن رجال التصوّف والفلسفة ابو نصر الحافي(٢٢٧هـ-٨٤١) وثوبان بن ابرهيم ابو الفيض المصري(٢٤٥هـ-٨٥٩م)والسري السقطي (٢٥٣هـ-٨٦٧م) وابو يوسف الكندي البصري الفيلسوف(٢٥٨هـ ٨٧١م)وابو يزيد طيفور البسطامي (٢٦١هـ-٨٧٤م)وابو القاسم الجنيد . وفي هذا القرن ظهر القراطة، وضعفت الدولة العباسية، وابتدأ الفرس يسيطرون على الدولة. ولا نعلم بوجود اي اثر للعباسيين في هذا القرن في بيت المقدس .

القرن الرابع

تضطرب الامور في الدولة العباسية في هذا القرن ، من الناحية السياسية، والاجتماعية والفكرية، وتقوم الدولة الاخشيدية في مصر والشام سنة(٣٥١هـ-٩٦٢)، ثم الدولة الفاطمية في افريقية ويستولي المعز الفاطمي على مصر سنة (٣٦٢هـ- ٩٧٢م) ويبني جوهر القائد الفاطمي الجامع الازهر سنة «٣٥٩هـ-٩٦٩م». فكان هذا الجامع ولا يزال اعظم مؤسسة اسلامية علمية دينية، ويمتد ملك الفاطميين الى فلسطين والشام ، وتدخل القدس في حوزتهم ، حتى سقوطها بيد الصليبيين سنة « ٤٩٢ هـ ١٠٩٨م » .

واشتهر هذا القرن بكثرة رجال العلم والفقه والفلسفة والادب وبقيام المنشآت كالمدارس ودور العلم والبيمارستانات ، وخزائن الكتب رغم اضطراب الجو السياسي .

ونكتفي هنا بذكر الحلاج«٣٠٩هـ-٩٢١م» والزجّاج النحوي «٣١٠هـ-٩٢٢م» ومحمد بن جرير الطبري « ٣١١هـ-٩٢٣م» وابن دريد «٣٢١هـ-٩٣٣م» وابو الحسن الاشعري « ٣٢٤هـ٩٣٥م» وابو

(١) اول من صنف في علم البديع (صبح الاعشى ج١ - ٢٤٠) .

نصر الفارابي «٣٣٩هـ-٩٥٠م» والمسعودي المؤرخ «٣٤٥هـ-٩٥٦م» والمتنبي «٣٥٤هـ-٩٦٥م» وابو الفرج الاصفهاني «٣٥٦هـ-٩٦٦م» وابو علي القالي «٣٥٦هـ-٩٦٦م» وابو فراس «٣٥٧هـ-٩٦٧م» وكشاجم الرملي الشاعر «٣٦٠هـ-٩٧٠م» والعسكري «٣٦٥هـ-٩٧٥م» وابو الحسن الجرجاني «٣٦٦هـ-٩٧٦» والآمدي «٣٧١هـ-٩٨١م» والبديع الهمذاني «٣٩٨هـ-١٠٠٧م».

ولسنا نعرف اية مؤسسة انشئت في القدس في هذا القرن، الا اذا اعتبرنا ان الفاطميين اسسوا دار العلم في القدس قبل الـ«٤٠٠هـ». وكذلك البيمارستان الفاطمي ولكننا نرجح انهما تأسستا بعد الـ«٤٠٠هـ» اي في القرن الخامس.

القرن الخامس

في مستهل هذا القرن يقوم الحاكم بامر الله الفاطمي، بالدور الرئيسي في مصر، وفلسطين، والشام، ويؤسس دار العلم في القاهرة «٤٠٠هـ ١٠٠٩م» ويشحنها بالكتب النفيسة ويغدق عليها الاموال وتظل هذه المؤسسة عامرة، حاشا فترات قصيرة، اغلقت فيها ثم اعيد فتحها، حتى استيلاء صلاح الدين على مصر سنة «٥٦٨هـ-١١٧٢م» واقفاله هذه الدار وامره ببيع كتبها للقضاء على مركز من اهم مراكز التشيع في العالم الاسلامي.

ونحن نرجح استناداً على رواية المقريزي، بان هذه المؤسسة كانت شائعة في سائر بلاد الفاطميين؛ «انظر الخطط المقريزي ج٢-٢٢٦» ولهذا فدار العلم الفاطمية في القدس هي فرع من دار العلم في القاهرة[1] على هذا الاعتبار.

كما اسس الفاطميون في بيت المقدس في هذا القرن، البيمارستان الفاطمي، وقد وصفه لنا الرحالة الايراني ناصر خسرو في رحلته «سفر نامه «٤٣٣هـ-٤٤٤هـ».

ويؤسس نصر المقدسي استاذ الغزالي مدرسته الناصرية «او النصرية على الاصح» سنة «٤٥٠هـ» وفي هذه المدرسة يقيم الامام الغزالي. ونصر المقدسي هو استاذ الغزالي.

وفي سنة «٤٥٩هـ ١٠٦٦م» اسس نظام الملك الوزير، المدرسة النظامية في بغداد، وهي اول مدرسة اسلامية اصولية في المشرق، رتب لها المدرسين والمعاليم للطلاب، ونظام الملك يعتبر بحق من اقدر رجال الادارة والحكم في جميع عصور الاسلام، وقد اسس غيرها من المدارس النظامية في سائر المملكة العباسية. وقد قامت هذه

(١) كان في طرابلس الشام دار علم فاطمية بناها بنو عمار، وقد احرقها الصليبيون سنة (٥٠٣ هـ).

المدرسة بنشر المذهبين الشافعي والاشعري، وبمحاربة الدعوة الفاطمية، وقد نعتبرها بمثابة رد فعل للجامع الازهر الشيعي، وكانت تعد الموظفين والعمال للدولة العباسية. اما نظام الملك[1] فسقط قتيلاً سنة ٤٨٥ هـ بيد صبي باطني.

ومن رجال هذا القرن ابن جني «٤٠٢هـ - ١٠١١م» والباقلاني «٤٠٢» هـ ١٠١١م» والشريف الرضي «٤٠٦هـ ١٠١٥م» وابن مسكويه «٤٢١هـ ١٠٣٠م» وابن سينا (٤٢٨ هـ-١٠٣٦م» وابن الهيثم البصري (٤٣٠ هـ ١٠٣٨ م) ابو العلاء المعري ٤٤٩ هـ ١٠٥٧ م) والماوردي (٤٥٠ هـ ١٠٥٨ م) وابن حزم «٤٥٦ هـ - ١٠٦٣ م» وابن زيدون ٤٦٣ هـ-١٠٧٠م» والباخرزى الشاعر «٤٦٧ هـ ١٠٧٤ م» ونصر المقدسي[2]، «٤٩٠ هـ - ١٠٩٦» استاذ الامام الغزالي.

وفي سنة «٤٩٢هـ ١٠٩٨ م» استولى الافرنج على بيت المقدس، وظل بيدهم حتى «٥٨٣ هـ - ١١٨٧ م» عندما فتحها صلاح الدين الايوبي.

وجدير بالذكر ان بيت المقدس اصبح في هذا القرن مركزاً لتدريس الفقه، ومجمعاً للعلماء. فقد جاء في طبقات السبكي «ج٤-٢٠٢» ان ادريس بن حمزة الرملي تفقه في بيت المقدس على الفقيه نصر بن ابرهيم المقدسي ثم ببغداد وتوفي سنة «٥٠٣هـ». وفي طبقات السبكي ج «٤-٢٠٨» ان الامام الغزالي اجتمع واسماعيل الحاكمي «٥٢٩ هـ» وابو الحسن البصري، وابرهيم الجرجاني وجماعة غيرهم في مهد عيسى في بيت المقدس. وفي ترجمة ابو الفتح المقدسي المعروف بابي رشاد ولد بالقدس «٤٤٢ هـ» تفقه على الفقيه نصر المقدسي وسمع بالقدس ابا بكر الخطيب وابا عثمان بن ورقاء. مات «٥٣٥هـ».

القرن السادس

في مستهل هذا القرن توفي الامام الغزالي «٥٠٥هـ- ١١١١م» وقد اقام قبل سفره الى الشام في المدرسة «الزاوية» الناصرية بالقدس مدة من الزمن، والف فيها كتابه احياء العلوم وغيره في بعض الروايات، وعرفت هذه الزاوية فيما بعد بالغزالية، نسبة اليه، وهي المؤسسة العلمية الثانية بعد دار العلم الفاطمية في بيت المقدس.

(١) هو رفيق كل من عمر الخيام، وحسن الصباح صاحب (ألموت).
(٢) درس ببيت المقدس، واسس المدرسة (الزاوية) النصرية، وانتقل الى صور، ثم دمشق.

ويسيطر الافرنج في هذا القرن على القسم الاكبر من سواحل سوريا وفلسطين ، ويمتد نفوذ الاسماعيليين ويقوم الملك نور الدين ابن محمود بن زنكي ويقاتل الافرنج وينشىء المؤسسات ، الثلاث المدارس ، والخانقات والبيمارستانات ، ويظهر صلاح الدين ، ويقتفي اثر نور الدين ، ويستولي على مصر « ٥٦٨ هـ – ١١٧٢ م » وتنتهي بذلك الدولة الفاطمية ، في مصر ، ويسترد القدس من الافرنج سنة « ٥٨٣ هـ –١١٨٧م ». وتقوم المنشآت في مصر والشام وفلسطين ويتوفى صلاح الدين سنة « ٥٨٩ هـ – ١١٩٣ م » . والى هذا القرن يمكن ارجاع المؤسسات الآتية في بيت المقدس :

«١» المدرسة الصلاحية .

«٢» الخانقاه الصلاحية .

«٣» البيمارستان الصلاحي .

«٤» الزاوية الختنية « الختنية » .

«٥» الزاوية الجراحية « الشيخ جراح اليوم » .

«٦» المدرسة الميمونية .

وتنقسم الدولة بعد صلاح الدين بين اولاده واخوته ، ومن رجال هذا القرن الابيوردي الشاعر « ٥٠٧هـ –١١١٣ م » وابن عقيل « ٥١٣هـ ١١١٩م » والحريري صاحب المقامات « ٥١٦هـ ١١٢٢م » والميداني صاحب الامثال « ٥١٨هـ –١١٢٤م » وابن باجه الاندلسي « ٥٣٣هـ –١١٣٨م » والزمخشري « ٥٣٨هـ – ١١٤٣ م » والقاضي بن عياض « ٥٤٤هـ – ١١٤٩ م » وابن طفيل الاندلسي « ٥٨١ هـ –١١٨٥م » والسهروردي الفيلسوف « ٥٨٧ هـ – ١١٩١ م » وابو الوليد ابن رشد الاندلسي « ٥٩٥ هـ – ١١٩٨ م » والقاضي الفاضل البيساني ٥٩٦هـ –١١٩٩م » وابن الجوزي « ٥٩٧ هـ – ١٢٠٠ م » .

الفصل السابع

يشتمل هذا القرن على انقضاء الدولة الايوبية ، وقيام دولة المماليك الاتراك « ٦٤٨هـ ١٢٥٠ م » وهجوم التتار بقيادة هولاكو على بغداد « ٦٥٦ هـ – ١٢٥٨ م » وقتل المستعصم بالله آخر خلفاء العباسيين في بغداد ، واعادة الخلافة العباسية من قبل الظاهر بيبرس البندقداري « ٦٦١ هـ – ١٢٦٢ م » وارجاع التتار عن فلسطين ومصر ، وكسرهم في معركة عين الجالوت بمرج بني عامر « ٦٥٨ هـ ١٢٦٠م » .

ومن الحوادث الكبرى في هذا القرن تسليم القدس للافرنج من قبل الملك الكامل « ٦٢٦ هـ – ١٢٢٨ م » واستردادها على يد الناصر داود « ٦٣٧ هـ – ١٢٣٩ » ثم تسليمها من قبله وقبل الصالح اسماعيل الى الافرنج ثانية « ٦٤١هـ ١٢٤٣ م » واسترجاعها من قبل نجم الدين ايوب « ٦٤٢ هـ ١٢٤٤ م » وتملك الظاهر بيبرس حصون الاسماعيلية .

ويجب ان نشير هنا الى اتمام بناء المدرسة المستنصرية في بغداد سنة « ٦٣١ هـ ١٢٣٤م » وقد شرع في بنائها سنة « ٦٢٥هـ ١٢٢٧م » وهي من المدارس الكبرى التي تميزت في القرنين السابع والثامن خاصة ، وكانت تعنى بالقرآن والحديث والمذاهب الاربعة ، وكان بها مكتبة ، وكانت تدرس الرياضيات والطب والصيدلة ، فاختلفت بذلك عن المدرسة النظامية التي اكتفت بتدريس العلوم الفقهية الشافعية ، ولما دخل التتار بغداد « ٦٥٦ هـ – ١٢٥٨م » هدم قسم من المدرسة ، ومزقت بعض كتبها ، ورميت في النار ، واعيد بناؤها وظلت عامرة حتى الفتح التركي في القرن العاشر ، ثم اصبحت خاناً . وعادت الحكومة العراقية الآن تعمر بقاياها .

ومن رجال هذا العصر ابن الساعاتي الشاعر « ٦٠٤هـ –١٢٠٧م » وفخر الدين الرازي « ٦٠٦هـ ١٢٠٩م » وابن جبير الرحالة « ٦١٤هـ ١٢١٧م » وابن الاثير صاحب الكامل « ٦٣٠ هـ – ١٢٣٢ م » وبهاء الدين بن شداد « ٦٣١ هـ – ١٢٣٣ م » وهو مؤرخ صلاح الدين ، وابن الاثير صاحب المثل السائر « ٦٣٧ هـ – ١٢٣٩ م » ومحيي الدين بن عربي الاندلسي « ٦٣٨هـ – ١٢٤٠ م » وابن البيطار صاحب المفردات « ٦٤٦هـ –١٢٤٨م » وابن تيمية « ٦٥٨ هـ ١٢٥٩ م » والبهاء زهير الشاعر « ٦٥٠هـ ١٢٥٢م » والعز بن عبد السلام « ٦٦٠هـ ١٢٦١ » وابن الرفاء الشاعر « ٦٦٢ هـ –١٢٦٣ م » وابن خلكان .

وامتاز هذا القرن بتأسيس عدد من المدارس والربط والزوايا ، في بيت المقدس ، كما تأسست دار حديث ، ومن اشهر هذه المدارس .

(١) المدرسة النحوية .

(٢) المدرسة المعظمية .

(٣) دار الحديث .

(٤) الرباط المنصوري .

(٥) الزاوية الكبكبية الخ الخ .

القرن الثامن

يظهر عثمان الاول اول ملوك آل عثمان « ٧٢٥ هـ ١٣٢٤ م » وتنقرض دولة المماليك الاتراك ، ويحل مكانهم المماليك البرجيون « الجراكسة » « ٧٨٤ هـ ١٣٨٢ م » . وتقام المنشآت في بيت المقدس بكثرة ملحوظة على اختلافها ومن اشهرها :

«١» المدرسة التنكزية .

«٢» الخانقاه الفخرية .
«٣» المدرسة الجاولة .
«٤» المدرسة الفارسية .
«٥» المدرسة الخاتونية .
«٦» دار القرآن السلامية .
«٧» الرباط المارديني .
«٨» المدرسة اللؤلؤية .
«٩» زاوية القرمي .
«١٠» تربة بركة خان .
«١١» الزاوية القلندرية الخ الخ الخ .

ومن رجال هذا القرن في العلم والادب والتاريخ ابن الفوطي «٧٢٣ هـ — ١٣٢٣» صاحب حوادث المئة السابقة ، وبهاء الدين ابن عساكر «٧٢٣ هـ ١٣٢٣م» وتقي الدين بن تيمية «٧٢٨ هـ — ١٣٢٧ م» والملك المؤيد صاحب حماه المؤرخ «٧٣٢ هـ ١٣٣١» والذهبي مؤرخ الاسلام «٧٤٨ هـ ١٣٤٧ م» وابن فضل الله العمري صاحب المسالك «٧٤٩ هـ ١٣٤٨ م» وتاج الدين الشاذلي المتصوف «٧٠٩ هـ ١٣٠٩ م» وجمال الدين الكلشائي المتصوف «٧٣٠ هـ ١٣٢٩ م» وابن قيم الجوزية «٧٥١ هـ — ١٣٥٠ م» ومحيي الدين بن نباتة الشاعر «٧٦٨ هـ ١٣٦٦ م» وابن عقيل النحوي شارح الفية ابن مالك «٧٦٩ هـ ١٣٦٧ م» وتاج الدين السبكي صاحب طبقات الشافعية .

القرن التاسع

يستمر المماليك البرجيون «الجراكسة» في مصر وفلسطين والشام ، ويفتح السلطان محمد بن مراد خان العثماني القسطنطينية «٨٥٧ هـ ١٤٥٣ م» ويؤسس فيها المدارس الثمان[1] ويستمر انشاء المؤسسات في فلسطين والشام ومصر .

ومن المعاهد التي ترجع لهذا القرن في القدس .

«١» المدرسة الباسطية   «٢» المدرسة الحسنية .
«٣» المدرسة الغادرية .   «٤» المدرسة العثمانية .
«٥» الرباط الزمني .   «٦» المدرسة السلطانية الاشرفية .

ومن رجال هذا القرن المؤرخ ابن الفرات «٨٠٧هـ—١٤٠٤م» والعلامة ابن خلدون «٨٠٨ هـ ١٤٠٥ م» والدميري صاحب حياة الحيوان «٨٠٨ هـ ١٤٠٥ م» وابن الهائم المقدسي الرياضي «٨١٥هـ ١٤١٢م» واحمد القلقشندي صاحب كتاب صبح الاعشى «٨٢١هـ ١٤١٨ م» وجمال الدين يوسف بن تغري بردى صاحب النجوم الزاهرة «٨٧٤ هـ ١٤٦٩ م» وحاجي خليفة صاحب كشف الظنون «٨٩٤هـ—١٤٨٨» وقطب الدين الجيلي المتصوف «٨٢٦هـ١٤٢٢م» والفيني ، وابن بطوطة ، والمقريزي وابن حجر العسقلاني الخ الخ .

القرن العاشر وما بعده الى الرابع عشر

في القرن العاشر تزول دولة المماليك الجراكسة «٩٢٣ هـ — ١٥١٧ م» ويستولي العثمانيون على مصر وفلسطين والشام والعراق الخ . . . وتصبح فلسطين جزءاً من الامبراطورية العثمانية حتى سنة «١٩١٧ م — ١٣٣٦ هـ» وتزول وتنحل اكثر المنشئات العلمية والمؤسسات في بيت المقدس ، ولا يبقى الا رسومها في القرون المتأخرة ، ويبقى البعض منها عامراً في مصر والشام ، اما في فلسطين فيرد ذكر بعضها في القرن الثاني عشر ، وتكثر المدارس والربط والتكايا في القسطنطينية وادرنه وبروسه وانقرة ، والاناضول والروميلي ، وتنتقل الحركة العلمية الى دار السلطنة .

ويرجع الى هذا العهد في القدس تكية خاصكي سلطان «٩٥٩ هـ ١٥٥١م» وهي لا تزال عامرة حتى اليوم ، والزاوية المولوية والزاوية النقشبندية ، وزاوية بابيرم جاويش ، والزاوية النجارية النقشبندية ، الخ ، وبعض المدارس الحديثة كعمارة المدرسة الرشيدية والمدرسة الميمونية ، وبعض التكايا ، وست سبل وبركة السلطان وسور المدينة المنيع وبرج باب الخليل والمستشفى البلدي .

ومن الذين اشتهروا في القرن العاشر وما بعده الحافظ السخاوي مؤلف كتاب الضوء اللامع «٩٠٢ هـ ١٤٩٦ م» والجلال السيوطي «٩١١ هـ ١٥٠٥ م» ومجير الدين الحنبلي مؤرخ القدس «٩١٤ هـ ١٥٠٨ م» وابن النحاس الحلبي «١٠٥٢ هـ — ١٦٤٢م» الشاعر ، وعبدالله بن شرف الدين الشبراوي «١١٧٢هـ—١٧٥٨ م» وشهاب الدين الخفاجي «١٠٦٩ هـ — ١٦٥٨ م» وعبد القادر البغدادي «١٠٩٣ هـ — ١٦٨٢ م» ومرتضى الزبيدي «١٢٠٥ هـ ١٧٩٠ م» وابن اياس المؤرخ ، والمحبي والمرادي الخ الخ ، وقد ضربنا صفحاً عن بعض رجال القرون الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر لان ذلك يحتاج الى مقال خاص وهو ليس من متناول هذا المقال لتلاشي المعاهد .

وسنبحث في الاعداد الآتية عن هذه المنشئات العامة مبتدئين من عهد الراشدين .

احمد سامح الخالدي

(١) هي ثماني مدارس فتحها السلطان محمد في القسطنطينية وهي اشهر المدارس العثمانية على الاطلاق .

من دم القلب

بقلم محمد اديب نحوي

يحلو لنا – انا وزوجتي – ونحن شيخان اشرف كل منا على الخمسين من عمره، ان نجلس كل صباح الى شرفة منزلنا المطل على المدينة، لنستقبل الفجر المقبل من بعيد. ونتحدث بهدوء.. عما لا يمل الشيوخ عادة التحدث فيه عن اولادنا. وان حسان ولو انه ولدنا الوحيد.. الا انه كان احد اولاد ثلاثة، رزقنا بهم في اوج شبابنا.. فماتت الاولى – وهي انثى – قبل ان تكمل التاسعة من عمرها.. ومات فتحي، وهو ولدنا الثاني.. في الربيع الثامن عشر من عمره. مات على يد المستعمرين في الوقت الذي كانت قامته فيه.. قد طالت، حتى قاربت قامتي، وعرض منكباه حتى انه شاركني في ملابسي. واشتد ساعداه، حتى انه كثيراً ما كان يحمل امه بينهما – كلما تخاصمنا.. انا.. وهي – ويصعد بها الدرج الحجري نحو غرفتي، ثم يتركها الى جانبي.. ويقفل علينا الباب. ثم يقف وراءه ليملي علينا نصائحه.

– ايتها السيدة.. وايها السيد.. انا اعرف لماذا تختلفان كثيراً، انكما تختصمان من اجلي.! كلاكما يريد ان يحضني بعنايته وتدليله.. ثم تصطدمان.. كأنكما طفلان صغيران. يا ابوي العزيزين.. انا لم اعد محتاجاً لرعايتكما، لقد اصبحت رجلاً، هل تفهمان..؟! ليتكما رأيتماني بالامس وانا اتخاصم مع احد جنود المستعمرين فأصرعه ارضاً بضربة واحدة.

وعند ذلك.. كنا نعدو الى الباب.. مذعورين.

– لا يا فتحي.. لا تفعل هذا مرة اخرى.

– لا يا فتحي.. ارجوك يا ولدي.

كان فتحي.. شاباً.. من نوع غريب.. لم نألفه نحن الرجال المسنين.! كان يحترق بنار العاطفة الجامحة التي تلتهب في اعماقه.. وكنت ارى ذلك عندما احدق النظر اليه.. كل مساء بعد عودته من احدى المظاهرات الصاخبة. وكلما زرته في الصباح، فرأيته وقد اعتمد رأسه بين ذراعيه وجلس الى نافذته الصغيرة المشرفة على حديقة المنزل.. وراح يرقب الافق المصبوغ بحمرة الشفق.

– انظر يا ابي.. ما اجمل الفجر.! عندما ينساب بين هذه الاشعة الحمراء الممزوجة بلون البنفسج كأن هذا الفجر يا ابي يحمل على سحاباته البيض دماء قلوبنا.

– قلوبنا... لماذا يا فتحي؟

– قلوبنا الجريحة يا ابي انها ما زالت تقطر دماً منذ اليوم الاول الذي احتل فيه المستعمر ارضنا. انظر حولك، الا ترى هذه الوردة الحمراء.. اتفكر يا ابي ان الوردة لا تفهم آلامنا.. انها تنتزي دماً احمر. وانظر الى هذا الطير الذي يصدح.. بل يبكي.. على شجرة البرتقال، الا ترى هذه النقط الحمراء التي تناثرت على جناحيه الصغيرتين، انه.. دمنا يا ابي، دمنا الذي ينساب من عروقنا الجريحة.. لينسكب في برعم الوردة. وعلى جناحي هذا العصفور ثم ليمتزج بالشمس المشرقة ويصبغ الفجر المقبل من بعيد.. بلون الارجوان.

– فتحي.. الا ترى انك تتطرف فيما تذهب اليه. ان لدى غيرنا من الامم مثل هذه الورود الحمراء ومثل هذه العصافير.. ومثل هذا الفجر، ومع هذا فانهم لا يتكلمون عنها.. كما تتكلم!

– ذلك انهم لا يقاسون مرارة العبودية يا ابي. قد يشبه الفرنسي حمرة الوردة بوجنتي حسناء يحبها، وتذكر اجنحة العصفور رجلا انجليزياً باحلامه التي تملأ سماء حياته ويذكر الفجر الاحمر شاباً امريكياً بحياة مرحة خالية من الهم، والذل. ولكنها بالنسبة الينا لا تذكرنا الا بهذه العبودية المقيتة التي تنتظرنا كل صباح على ابواب بيوتنا، الا بهذا الذل يحني لنا القامة ويجرح الجبين. ان امهاتنا يطلعن من النوافذ ليستقبلن فجراً جديداً ملؤه.. السعادة والنشوة والاماني.. اجل انهن يستقبلن هذا الفجر.. ولكن ليتذكرن ابناءهن الذين يناضلون المستعمر على منعطفات الشوارع انا يا ابتي لا افهم لماذا يستعبدني مستعمر قدم من وراء البحر يحمل معه، بندقية وحربة!

– ذلك لانه قوي يا ولدي.. ولانك ضعيف.

– لا.. انا لست ضعيفاً.. ولن اكون.. ابداً.. ابداً.

وكان فتحي يرفع يده... ويهوي بها على منضدته مرة ومرتين.. ثم ينفجر باكياً.. مسكين انت يا ولدي، لقد كان ابوك مثلك هادئاً وكنت في طفولتك كأبيك في هدوئه ومسالمته فمن اذكى في شبابك كل هذه الثورة الطاغية! كيف فقدنا فتحي؟

كان ذلك في احد ايام الربيع. امام مدرسة تجهيز البنات. وكانت استاذة التاريخ تلقي على تلميذاتها درسها المقرر.. بهدوء واطمئنان، والطالبات مصغيات اليها، فلقد اشتهرت هذه السيدة في المدرسة.. بأنها كانت محبوبة من كل من عرفها ذلك لانها



خرجت عن التقاليد التي وضعتها وزارة المعارف للمدرسات امثالها فكانت في كل درس من دروسها .. تشعل في صدور طالباتها ، نار ثورة جديدة . ولنتحدث عن هذه السيدة قليلاً فلهـا بعض الشأن في قصتنا .. هي سيدة عطوف .. رقيقة الطبع ، فتـانة الملامح ، مرهفة الحس فكأنها ولدت وعلى شفتيها طيف ابتسامة . وفي عينها بقية من دموع .. اذا ما تحدثت فالكل مصغ اليها ، واذا ما سكتت ، رقصت على اجفانها نظرات يشع منها الايمان المتقد والثورة الطاغية ، . عرفتها الطالبات في بادىء الامر ، سيدة متزنة كل الاتزان ، الى ان اقبل على المدرسة يوم كانت الطالبات مجتمعات فيه للخروج في احدى المظاهرات احتجاجاً على مظالم المستعمرين . واذا بها .. تطل عليهن من شرفة غرفة المعلمات . وساد السكون وكتمت كل فتاة انفاسها تنتظر ، وارتفع صوت الاستاذة فجأة . بهتاف داو بسقوط المستعمرين وتحركت المدرسة كلها دفعة واحدة . . ماذا ؟ ! . استاذه تحرض طالباتها على الاضراب والتظاهر والشغب .. شيء عجيب لم يألفنه من قبل ، ثم ســاد السكون وانطلقت هذه السيدة تشرح لطالباتها واجب المرأة في حمل عبء النضال الى جانب الرجال . وكانت آخر عبارة هتفت بها وهي تترك الشرفة :

— فليحمل الرجال البنادق للدفاع عن حرية الوطن . ولنرتد نحن الثياب البيضاء ، ونذهب الى ساحات القتال ، لنضمد جراح ازواجنا واخواننا . وغمر المدرسة كلها .. هتاف جنوني اهتزت له الجدران .

خطبت هذه السيدة في ذلك اليوم مرتين امام الجماهير في الشوارع العامة ، والهبت الحماس في صدر كل من سمعها وكنت انا . استمع اليها بين المستمعين واهتف لها كل مرة .. مع الهاتفين .

ولنعد الآن الى المدرسة التي تحدثنا عنها سابقاً والى استاذتنا هذه وهي تلقي درسهـا .. فلقد مزقت السكون فجأة ، ضجة ارتفعت من الشارع المجاور ، تلتها هتافات داويه تشق عنان السماء ، فعرف الجميع ان احدى مظاهرات الطلاب تمر امام باب المدرسة . وبغتة سكتت الهتافات ، وقالت احدى الفتيات وهي تطل من النافذة :

— ان احد الطلاب يخطب في الجمهور ، من شرفة المنزل المقابل .

وتدافع الكل ، وتحركت استاذتهن بهدوء الى ان وقفت امام النافذة ، وشاهدت الطالبات يدها وهي تتقلص على الزجاج . ومرت بضع دقائق ، كان الطالب الشاب يتابع فيها خطابه بحماس وقوة . الى ان ارتفع صوت بين الجماهير .. محذراً : الجند قادم . فدوى الرصاص من بعيد ، واقتربت من آخر الشارع سيارة مصفحة كانت تطلق مدافعها الرشاشة في كل مكـــان ، ورأت الطالبات بعيون ملؤها الفزع القاتل .. الطالب الشاب الذي كان يخطب في الشرفة وهو . يهوي . ويهوي .. الى الشارع بعد ان ملأت صدره ... خطوط من الرصاص القاتل .. وفجأة .. انطلقت صيحة رعب هائل من صدر احدى الطالبات ، واستدارت الاستاذة نحو تلميذاتها مطرقة الرأس ثم مضت بهدوء نحو الباب وخرجت ، وتلا ذلك سكون عميق ، قطعته تلك الطالبة المذعورة فجأة ، وهي تهتف بصوت مختنق : — الا تعرفون الطالب القتيل .. هذا الذي هوى من الشرفة . انه .. ابنها .

عندما خرجت المدرسة كلها ، لترى جلية الخبر ، رأت الفتيات استاذتهن في الشارع تحتضن جسد ابنها القتيل تمسح عن شعره بحنان . اما انا فقد رأيتها في ذلك المساء ، وجلسنا معاً في الشرفة كل تلك الليلة ، نرقب جسد ابننا المسجى في زاوية من الغرفة ، ذلك ان استاذة التاريخ هـذه .. كانت زوجتي .. والفتى الذي هوى من الشرفة كان ولدي .. وهكذا فقدنا فتحي .

ها نحن الآن جالسان بعد مضي اعوام طويلة على الحادث ، في نفس المكان من شرفتنا المطلة على حلب . والفجر يمسح على ورود الحديقة بقطرات من الندى الابيض . انه فجر فتحي ، ففي كل شعاع من اشعته ، تمتزج قطرة من دمه النقي الطاهر ، بل انه فجرنا ايضاً .. فجرنا الذي سقيناه من دموع العين ومن دم القلب .. بل هو فجر جديد يحمل الوطن بشائر عهد جديد .. هكذا يقول حسان وهو ولدنا الثالث الذي بلغ مبلغ الشباب ، يقول هذا وهو يتطلع الى صورة اخيه التي تزين صدر القاعة الكبيرة ، كل صباح وكل مساء .. انه ثائر مثل فتحي ، يريد ان يتحدى هذا الموت الذي اختطف له اخاه بالامس ، وعندما فكرت بحسان ، شعرت بالالم يعتصر قلبي ، فلقد بلغ منذ يومين فقط العام التاسع عشر من عمره وبينا كنت اسأله في ذلك اليوم عن الهدية التي يريدها لعيد ميلاده . فاجأني وهو يبتسم : — اريدها ... بندقية يا ابي فلقد تطوعت للذهاب الى فلسطين ، وانا مسافر بعد يومين ، فأرجوك ان تخبر امي بما حدث .

منذ تلك الساعة وانا لا اجرؤ على التطلع اليها الا ، خلسة . ارقبها الآن بعين ملؤها الحسرة الدفينة لارى موكب البياض الحافل وقد تسلل بين ثنايا شعرها الذهبي . كيف انقل اليها الخبر؟! اتراني املك الشجاعة اللازمة .. وتحركت في مقعدي فالتفتت الي ثم همست وهي تأخذ يدي بين راحتيها :

— اريد ان انقل اليك خبراً مؤلماً يا عزيزي ، لقد تطوع حسان ليخوض معركة فلسطين مع اخوانه ، وقد رجاني ان انقل اليك

بيني وبيه شهرزاد

بقلم احمد عويدات

☆

٢٠ نوفمبر ...

لمَ أعيش ؟ سؤال يطن في اذنيّ فيستأثر بهما وحده وعبثاً احاول دفعه بعيداً عني فهو اشبه برياح العاصفة تركض اثر «انسان» تائه يلاحقه صفيرها الحاد من جميع الاطراف، حتى اذا اعياه الخلاص وسط هذه السهوب من الرمال وضاقت به السبل طفرت من عينه دمعة محرقة وتلاشت قواه فارتمى على الارض كالصريع البائس ويداه على اذنيه تضغطهما وتحاولان جاهدة ان تردا عنهما هذه الجلبة. وما يتزل بهذا الانسان التائه يتزل بي بل يزداد الطنين والصفير ويأخذ بخناقي فيجثم على صدري : لمَ اعيش!

وما دمت اجدُ في هذه المذكرات « قلباً كبيراً » اتفيأ ظلاله عبر هذه المراحل من صحراء نفسي اريد ان اخفف عني بعض العبء فاسألكِ : كيف اجيب !

ولست اظن ان سؤالي يقع غريباً منك اذ انني — واتركيني اقولها بصراحة — اصبحت اتردد في نشدانُ هذه الحرية المطلقة اذا لم تحفزيني انت الى بلوغها ، ومهما يكن من امر واقعنا الذي نعيش فيه فهناك خطوط ملونة ساطعة الوضوح تجمعنا معاً في عالم الفكر الرحيب وترتفع بنا عن هذه الحلك الآسنة . فنحن نلتقي اذن ، نلتقي على صعيد واحد وربما كنا لا ندرك في البدء اننا الاثنين رفيقا هدف واحد ورائدا غاية واحدة نسعى لرسالة مثلى . فرأيت ان اوجه اليكِ هذا السؤال الذي يتبعني كظلي بل رأيت ان من حقك علي ان اواجهك بنفس ما ووجهت به، وليس من شك عندي في ان الجواب واحد في جوهره وان الانوثة مبعثه لديك وهذا ما يجعل الفارق العرضي بيني وبينك .

لمَ اعيش وكان علي ان اقول لمَ نحن الاثنان نعيش !

هل نبغي السعادة التي شاعت على مفاهيم الناس انها القناعة ! هل نطلب المثالية التي يرتئيها اصحاب النظريات ذوي النوافذ المغلقة! هل نريد ان نعيش مرفهين قانعين بعيدين عن كل صخب وشذوذ ! ام ما نزال كغيرنا نحلم بالفراش الوثير ننعم في لمسه ودغدغته نخاف ان تجرح انامِلنا انداء الصباح ! انعيش لكل هذا او لشيء من هذا ؟

انني لم اثق بشيء ثقتي بهذا الذي اسطره ، ولم اشعر بارتياح صادق ارتياحي لهذا الصدى العميق الذي يملي علي ما انا وانت نشعر به . نحن لا نبغي السعادة لانها بين ايدينا نصهرها من قرابين الالم والحرمان التي نقطعها من حبات قلوبنا ، ولا نطلب المثالية لاننا في غير استقرار وما اردنا لحياتنا استقراراً .

اصبحت اكره السكون ، اكره الوحدة ، لم تعد ترضيني تأملاتي الحالمة ما لم انزل بها الى حياة الصخب والمغامرات . واي كتاب اروع من هذه الصفحات التي تطوي حياة المعذبين والمستضعفين كتل آدمية حية يدعي المجتمع انه نبذها وتسخر هي به فتستعلي عليه وهي في الواقع انبل مثال واصدقه لـ«وجودية» الكائن الحي.

آمنت بالقلق يحرمني ويعطيني ، يسعدني ويشقيني ، يدفعني هنا وهناك على الرمال وبين الصخور ، تحت الشمس المحرقة يلسعني نارها وبين امواج كانون تصخب وتعلو وهي ثائرة حاقدة غضبى . آمنت بالقلق لو يحرمني ولم يعطني، لو يعبس ويطول عبوسه. فانا ضنين به راغب فيه داع اليه . انا اتمرد فانا سعيد .

نحن الاثنان نعيش لنتمرد وحسبنا هذه الرسالة .

٢٩ منه ...

اصبحت كأنني وحدي اتلقى من صروف القدر ما تنوء بحمله الجبال . كل شيء لي بالمرصاد، اي شيء هذا الذي يسهر على تسديد ضرباته ضربة اثر ضربة وموجة اثر اخرى؟.

الحلم . . لانه لا يجرؤ على مواجهتك . . به .

فانتفضت في مكاني . . وهتفت بها : ماذا تقولين؟ اعني : اين هو . . اين حسان . فأشارت بيدها الى الجنوب وهي تبتسم :

— لقد ذهب منذ ساعة . . ودعك وانت نائم في فراشك .

ثم رأيتها وهي تنهض وتستند الى سياج الشرفة الحجري . واقبلت ريح باردة من الشمال تعبث بخصلات شعرها ، فنهضت ودثرتها بمعطفي ، فالتفتت الي ثم انهارت فوق صدري دفعة واحدة ، فانسابت على خدي من عينيها دمعتان دافئتان . . همست في اذنها بصوت تخنقه العبرات . — ارفعي وجهك يا عزيزتي . . تطلعي الى الفجر .

لاول مرة . . منذ سنين طويلة، نستقبل الفجر وحيدين . . بدون فتحي وبدون حسان . . لقد مضيا معاً . . ولم يبق لنا من آثارهما سوى هذا الفجر الاحمر . . المتلألىء على صدر الكون . . في اغفاءة هانئة . .

حلب — محمد اديب نحوي

ماذا ؟ اين هو الوجه الآخر من الحياة ؟ اليس في طريقي غير تعاريج ضيقة تزخر بالاشواك الهرية والحصى ذات الحدود الجارحة ؟ افهم انني لا امشي وراء الناس على ذلك الطريق المعبد من الاطمئنان والذل والنفاق ، ولكنني اتلفت من هنا وهناك فلا ارى غير ضباب ، ضباب ابيض ينفرج عن غلائل رقيقة ثم يتجمع كثيفاً كمسوح الرهبان ، وارهف الاذن فلا اتبين غير صدى اصوات مبهمة لم يألفها السمع . اما قلت لك اني اكره الوحشة فلمَ تلاحقني اينما حللت ؟ وافهم اني رضي بهذا لا اتهم منه ولكن اترى يهيء لي القدر ضربات اقسى من هذه ؟ هل انازله ، اقف في وجهه ، وهل اربح المعركة ام يطويني العدم في الجولة الاولى ؟

وترددت ، ولعلها المرة الاولى التي اشعر فيها بخفقات شديدة تشبه الذعر . ولعلني تهيبت الموقف ، هل تملكني الخوف ، ربما ، وراودني الاحجام أأخطر ام اتراجع ! ان ابغض شيء الى نفسي ان اقف كالجامد لا حراك به . ان الانتظار من المصائب الكبرى التي تعافها نفسي ويحتد ازدرائي وكرهي لمن يوصيني بالانتظار . ولكن آه . انني ارنو الى هذا « الواقع العذب » واقمك وابصاري شاردة الى بعيد . انني اتنبأ بحادث سوف يهزني ولا اظن انه شر كله ولكنه سيكون بعيد المدى بليغ الاثر ولا اكتمك باني اترقب هذا الحدث ، ولكن اهذا يكفي ؟

يا شهر زادي !

ليس اكره من شيء عندي كالشفقة . لا استطيع تصور من يتظاهر لي بالرثاء ، والشفقة الا اذا كان الحقد يأكل قلبه واللؤم طبع في جبلته ، ولا بأس ، فعندي من الارادة ما يحطم هذه الاعتبارات الوهمية التي يجترها ابناء الجيل .

اتراني ابالغ ام انها ارادة خفية تدفعني دفعاً الى تسطير هذه المعميات ! ام انه جنوح شاذ لا يبشر بخير العواقب !! لن اخفي عنك بانني سمعت من اكثر من « صديق » بانني مريض . ولكن ايعرف احد مرضي بله علة هذا المرض ؟

لديك وحدك الجواب يا !.. شهرزاد . كلمة واحدة منك كفيلة ان تشحذ همتي لاقتحام الدنيا باسرها . وها انا اليوم اهيء نفسي للنضال . نعم ، كلمة واحدة منك ، فالمجد الحقيقي عبء ثقيل طويل واحياناً لا يطاق لان له صدى بارداً موحشاً لا تقتحمه الا نفوس نادرة . فلتكن كلمتك نقطة الابتداء . تكلمي يا شهر زاد لانني اضن على هذه « الحياة » حياتي ان لا تجد منفذاً تواجه منه الشمس ، الشمس الصافية ذات الاشعة الذهبية .

١٢ ديسمبر ...

صه

له صديق فليدلني عليه .

ومن يشكو عدواً اقول له فتش عنه بين اصدقائك .

لا صديق لي بعد اليوم ، فقد رحل صديقي .

الى اين ؟ اين انت يا صديقي المبدع المتمرد !

لقد حملت قلبك على يدك ومضيت ، فلم تركتني هنا تصهرني عبودية الوظيفة وأوهما ! اخفت ان لا اسير معك وانت الذي حملتني مرة ، في يوم عطلة ، من بيروت الى الشام لا لشيء الا لتعلم الجغرافيا ! ام ظننت اني رضي بهذه الطمأنينة المتبلدة ! ام انني هنا الى جانب شهر زاد اغرف من نفسها الكبيرة لاساور الانطلاق والتحرر يا من تمردت وتحررت ! كأنك لم تعرف ان ما يلحقها يلحق بي وانها اخت لنا في التمرد والقلق ، وغريبة عن هذا البلد الذي يكفر بالقيم الانسانية المبدعة !

في اي بقعة من الارض انت لاحمل اليك قلبي وقلبها !.

كل هذه الاطياف مرت بخاطري وانا جالس وحدي الى مكتب غير كرسي الوظيفة ، فقمت من فوري ووقفت بالقرب من جندي مجهول غامر بحياته في دنيا الواقع ، فهو الآن في صراع مع القلق الحي . سألته وكان قلبي بيدي : — اليس عندك عنوان الياس ؟

فنظر الي نظرة لم افهمها وتابع عمله . ولبثت واقفاً انتظر ، وهممت بطرح السؤال مرة ثانية ، فالتفت الي كمن لم يسمع شيئاً ، فبادرته بشيء من الثورة العنيفة تجول في اعماقي .

— اريد ان الحق به ، اعطني عنوانه .

— الياس زخوريا !!

— نعم ، ارجوك . مصر ، اوربا ، اميركا ، القطب الشمالي ، اريد ان الحق به .

— هل جننت يا احمد ؟

— انا اثق اني املك جيداً قواي العقلية .

— وتسأل عن الياس ؟

وسادت هنيهة صمت . وكأنه اشفق علي فرفع ابصاره الي وهو يقول : — لم يعطني عنوانه ، وانما انا اعطيك اياه .

قلت بلهفة . — هات وانت الكريم .

— كان من يطلب عنوان هنري هايني في باريس يقول له : اسأل السمك ، اما انا فاوصيك ان تكتب عنوان الياس : العالم !

احمد عويدات



الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث

مصطفى عبد اللطيف السحرتي – ٢٦٦ صفحة – مطبعة المقتطف والمقطم – مصر

أخرجت المطبعة العربية في الايام الاخيرة هذا الكتاب البالغ الاهمية للمشتغلين بالادب العربي خاصة، وللمثقفين بوجه عام، وترجع اهمية الكتاب – في المحل الاول – الى انه يستعرض للمرة الاولى في تاريخ الادب العربي مدارس النقد المعروفة في الغرب، فيعرف بها القارىء، ويدرسها، ومن ثم يسعى الى تطبيقها على نماذج عديدة من الشعر العربي المعاصر، تطبيقاً امينا عالياً لا تحيز فيه ولا اجحاف، ثم هو بعد تطبيق الشاعر المستذوق، والفنان الواعي، الى جانب الباحث المحايد، الذي يضع الاقيسة والمعايير امامه ويجب الا ينساها.

والكتاب – من هذه الناحية – علامة كبرى مميزة من علامات الطريق في الادب العربي على اطلاقه، وفي الادب العربي المعاصر بوجه خاص، ذلك انه ليس خافياً ان النقد العربي – بالمفهوم المعاصر لكلمة نقد – لم يكن له وجود قبل السنوات الخمس عشرة او العشرين الاخيرة. وحتى في هذه السنوات، لم يكن هناك «نقد» بالمعنى الذي ينصرف اليه الذهن في اللغات الاجنبية الحية.. كان ثم تشريح لفظي ونحوي لابيات الشعر، ومحاولة لتسقط الاخطاء اللغوية والنحوية، ثم تقدير شخصي متعسف للقصيد، بقصد التقليل من شأن صاحبها، اذا كان المراد التهوين، والارتفاع به الى «السماكين» اذا كان المراد التهويل، وفي احوال قليلة، وفي آخر تلك السنوات العشرين، ظهرت محاولات متناقضة، تهدف الى تقييم الشعر بعيداً عن الهوى والغرض، ولكن هذه المحاولات كانت تصدر عن اساس شخصي، اكثر مما تصدر عن مقاييس موضوعية، يمكن ان تتخذ محوراً للبحث، بحيث يكون للناقد والقارىء مفهوم واحد مشترك للمهمة التي هما بصددها، فيستطيع الناقد ان يتكلم لغة مفهومة، ويمكن للقارىء ان يفهم عنه هذه اللغة.

اهمية كتاب «الشعر المعاصر» اذن هي انه يقدم هذه المقاييس، هذه اللغة الواحدة المشتركة بين الناقد والقارىء، الى الادب العربي. وهذا في حد ذاته عمل ضخم. ذلك انه ليس من السهل على باحث في مثل مركز الاستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتي ان ينهض بهذا العبء وحده، فما بالك، وهو لم ينهض به فقط، بل سار به قدماً، واوغل في الطريق، نحو صياغة عقلية علمية، في النقد العربي، عقلية لا تكتفي بأن تقرأ عن مدارس النقد المعروفة في الغرب، بل تهضم هذه القراءة وتمثلها، وتخرج منها نتاجاً جديداً، هو هذا الروح العلمي المنصف الذي امتاز به تقدير الاستاذ السحرتي للنماذج الشعرية العديدة التي اوردها في كتابه الكبير.

ولنحاول ان نتفهم اكثر من هذا معنى عبارة «عقلية علمية في النقد العربي»، وهي عبارة قد يجد فيها غير قليل من الادباء ما يحتجون عليه. ذلك ان النقد في رأيهم لا يمكن ان يكون علماً، بل هو عمل شخصي بحت، يعتمد على صفات شخصية، كذوق الناقد، واطلاعه، ومكانته.. وما الى هذا من رصيد خاص، لا يمكن نقله للقارىء او المشتغل بالادب. هذه العقلية العلمية هي بالضبط المقابل للرصيد الخاص... هي الرصيد العام للادب، وهي مجموعة الحقائق الموضوعية التي يمكن للناقد ان يحيل القارىء عليها في تقديره للعمل الفني، فتكون بذلك القدر الثابت المشترك بين الناقد والقارىء، وتصبح اساساً للتفاهم يمكن بناء النقد عليه، باضافة الرصيد الخاص للناقد، من ذوق وتجارب واطلاع الخ... وبدون هذا القدر الثابت لا يمكن لاي نقد جدي ان يقوم، بل تظهر كل محاولة لتقييم العمل الفني بمظهر الحكم الشخصي التعسفي عليه.

من هذا تتضح للقارىء اهمية كتاب الاستاذ السحرتي، فهو يتصدى لتوفير هذا الرصيد العام، في ادب لم يكن له مثل هذا الرصيد قسط، وهو بهذا لا يخرج كتاباً في النقد، كما يخرج اي ناقد اجنبي كتاباً في النقد، يعتمد فيه على مئات الكتب التي خرجت من قبل، ويستخدم فيه اقيسة ومعايير مفهومة لديه ولدى قرائه، بل هو في الواقع يشق ترعة او ينحت طريقاً في جبل، وهو يستحق منا نفس المديح ونفس التهنئة التي يصح ان توجه الى كل من يختط سبيلاً جديدة.

وليس ادل على اهمية كتاب الاستاذ السحرتي، من انه وقد عرّف قراء العربية بالاقيسة النقدية الجديدة، قد اتاح لنا ان نستخدم

هذه الاقيسة بالذات في نقد كتابه دون خوف من ان يكون هذا النقد كمن يتحدث الى قوم بلغة لا يعرفونها، فيصبح كلامه ضرباً من العبث.

بدأ الاستاذ السحرتي كتابه بمقدمة اوضح فيها حال النقد في النصف الاول من القرن العشرين وكيف انه «ساير المذهب الاتباعي الجامد، الذي سار عليه بعض القدامى من قرون وقرون.» «فما كان الادباء ينقدون على منهج قويم، وانما كان يهدم بعضهم بعضاً.. وكان اكثر النقد – ولا يزال – زوراً وعبثاً، هو في اغلب الامر، رأي يصدر عن مجاملة او جهالة، ثم ينتقل من فم الى فم..» وخلص الباحث من مقدمته هذه الى بحث مذاهب النقد كما هو معروف في الآداب الاجنبية، فتحدث عن المذهب الفني و«هو المذهب الذي ينظر في العمل الفني الى روحه، وصدقه واصالته واسلوبه، دون اعتبار يذكر لموضوعه او لنحوه وصرفه.» وبعد ان طبق هذا التعريف العام على الشعر، وتحدث عن التجربة الشعرية، ومثل لها من بعض شعراء المهجر ومصر والشرق العربي، انتقل الى الحديث عن المذهب الواقعي، وهو ثاني المقاييس التي تستخدم في تقدير العمل الفني في النقد الحديث.

يقول الاستاذ السحرتي ان «المذهب الواقعي في النقد لا يختلف مع المذهب الفني الا في شيء واحد، هو موضوع القصيد، فهو لا ينظر، كما ينظر المذهب الفني، الى التجربة الشعرية والصياغة والانفعال والفكر والخيال فقط، وانما يدخل في اعتباره الموضوع، فان كان الموضوع لا يهتم بالحياة واحداثها، وآلام الناس واشواقهم وآمالهم، فهو فن رديء، فن مخاتل للمواهب، مخدر للناس، فن لا غاية من ورائه الا تسلية جماعة ضئيلة مترفة. والفن الجيد هو المعبر عن اشواق الناس وآمالهم ودنياهم.

«ورجال المذهب الواقعي يضعون للفن منازل، فالفن الذي يعبر عن الوقائع العابرة اقل منزلة من الفن الذي يضم الحقائق المعمرة الباقية، وهذا الفن الاخير يعد في رأيهم فناً عظيماً اذا صيغ بأسلوب قوي مقنع.».

ويمضي المؤلف – بعد هذا العرض الواضح للمذهب الواقعي في النقد – فيطبق هذه الآراء على شعر بعض شعراء الشرق من امثال محمد رشاد راضي ونزار قباني وحافظ ابراهيم وغيرهم، فيسمي ما يورده من شعر الاولين، وما يذهب مذهبه من الشعر، شعراً «مطبوعاً بطابع التدهور والانحلال»، فاذا خلص من هذا الى شعر حافظ، فهو عنده – وعلى ضوء المذهب الواقعي – شعر «يصف واقع المجتمع، الذي نطل منه على حوادثه الجسام، ونراها رأى العين.. وبعد ان يشير الى شعر ابي القاسم الشابي وابي شادي وبدوي الجبل وبعض الادباء الاحرار ممن يجد ان شعرهم حافل «بوامقات الحياة، واناشيد الحرية والديموقراطية» يستطرد الى الحديث عن المذهب الفقهي في النقد يقول:

«النقد الفقهي، او المدرسي، او الجامعي، ان صحت التسمية.. هو النقد الذي سار عليه اغلب النقاد القدامى، وهو ينظر في الشعر الى نحوه، وصرفه، وعروضه، وبيانه، وبديعه، وفي بعض الاحيان الى معانيه، وهو النقد الذي سار عليه جل نقاد العرب، من قرون وقرون، ولا يزال محوراً لنقدات كثير من نقاد اليوم».

ولا ينكر المؤلف ضرورة هذا النوع من النقد، «على ان يكون تابعاً للنقد الفني او الواقعي، لا ان يكون مفرداً، اذاً لا يجوز بحال ان يوضع الفن تحت مشرحة اللغوي والنحوي والعروضي ولا يجوز ان يكون نقاد اليوم ابواقاً لنقاد الامس الغابر، فيقتصروا في نقداتهم على النقدات الشكلية، كما فعل الرافعي مثلاً في نقد العقاد، او كما فعل احمد محرم في نقد اسماعيل صبري وحافظ ابراهيم.»

ثم يلمع الاستاذ السحرتي الى بعض نقدات العرب الاقدمين كقدامة بن جعفر، وابن قتيبة، من نقاد القرن الثالث الهجري، وكان نقدهما «اعجف هزيلاً مملاً، عليه مسحة من الصفرة والشحوب.» ومثل ابن الاعرابي وحماد، وهما لغويان اقحما نفسيهما على الادب، واغلب نقدهما كان يدور حول فقه اللغة. ومثل الآمدي، من كبار نقاد العرب، ونقده ذاتي في جملته، وعبد العزيز الجرجاني، الذي كان «يهتم كل الاهتمام بالناحية البيانية، من تشبيه او استعارة، او مجاز، او كناية، كما كان يعنى بتتبع سرقات الشعراء، ما كان منسوخاً او مسلوخاً، او ممسوخاً».

وبعد ان بيّن المؤلف كيف ان هذا النقد الذاتي الشكلي كان سبباً في تضارب آراء نقاد العرب القدامى في العمل الفني الواحد انهى هذا البحث الاول من كتابه القيم بقوله: . «لهذا نجد النقد الادبي في الشرق بين شد وجذب، وبلبلة وتلدد، كحال الادب تماماً. ولقد آض في ذمة العاملين المخلصين للادب ان يوجهوا النقد الى الطريق الامثل، وخير سبيل، هو التوحيد بين المذاهب الثلاثة، وذلك بمسايرة المذهب الفقهي في سلامة اللغة واحترام قواعدها، ومتابعة المذهب الفني في النظر الى فنية العمل الادبي، ومجاراة المذهب الواقعي في موضوعه وغاياته المجدية».

وهذه في الواقع هي السياسة التي يسير عليها الاستاذ السحرتي في تحليله للنماذج الكثيرة التي يوردها من الشعر العربي المعاصر.

وهو تحليل يمتاز – كما قلت من قبل – بالحيدة العلمية اللازمة ، وان كان ما خفت من انغام التحليل يحدث عن نفس فنانه واعية ، تحس الجمال احساساً ، في الوقت الذي نجعله موضع الدرس ، ولا نجد في الحالين تناقضاً ولا حرجاً ..

وفيما تتلو من بحوث حتى البحث الخامس ؛ يتحدث الاستاذ السحرتي عن اشياء هي من صميم الصناعة الشعرية : يتحدث عن التجربة الشعرية ويمثل لها ، وعن الصياغة الشعرية وعلاقتها بنوع التجربة الشعرية ، ثم ينتقل الى الحديث عن الالفاظ الشعرية وعلاقة الاسلوب الشعري من حيث موسيقيته او تنافره الصوتي بشخصية الشاعر ، ويتناول عديداً من الشعراء بالبحث والتحليل ، ويخلص من هذا الى الكلام عن الوحدة الشعرية ، او وحدة التجربة وعناصر هذه الوحدة من التسلسل المنطقي في السرد ، والصور الحية ، والموسيقى المتوائمة مع المعنى ، وحرية حركة الالفاظ من القصيد ويذكر ما جد من اعراض بعض شعراء الغرب المحدثين عن الاهتمام بالوحدة في القصيدة ، ممثلاً لهذا من شعر الشاعر الايرلندي المعاصر جيمز جويس .

ثم يترك المؤلف هذا الحديث ليتكلم عن الانفعالات الشعرية ، الموضوعة ، ويقيم الانفعالات المختلفة ، فيسمي بعضها انفعالات ذاتية واخرى موضوعية ، ويفرق بين الانفعال الرفيع الراقي ذي القيمة الايجابية ، والانفعال السيء النازل ، ذي القيمة السطحية . ولعل هذا الفصل ، من امتع فصول الكتاب ، وسنعود للحديث عنه بعد الفراغ من استعراض البحث .

وفي البحث الرابع ، يتحدث الاستاذ السحرتي عن الفكر في الشعر ، ويفرق بين الشعر والنظم ، ويؤيد جانب الشعر ذي الفكرة في مقابلة الشعر الذي يضم فكرة عادية ، او لا يضم فكرة ما .

ثم يعود في البحث الخامس الى الحديث عن الموسيقى الشعرية ، فيرى ان الموسيقى الشعرية ليست كل شيء في القصيد كما يرى الكلاسيون من امثال المنفلوطي ، ويضع الموسيقى الشعرية موضعها الصحيح بوصفها « جندياً من جنود التعبير الشعري . » وبعد ما يفرق بين الوان الموسيقى المختلفة وعلاقتها بالمعنى الذي يريد الشاعر التعبير عنه ، يتحدث حديثاً ممتعاً في البحث السادس عن الشعر الرمزي والسيريالية الشعرية ، فيؤيدهما تأييداً عاماً بوصفهما مصدرين جديدين لزيادة ثروة الشعر العربي ، وان كان ينكر على السريالية خروجها على كل قواعد التأليف الشعري ، ولا ينكر مع ذلك الهزة المفيدة التي تحدثها في الجمد الشعري المتراكم على بعض تآليف شعرائنا .

وفي البحث السابع ، وهو اطول بحوث الكتاب ، يتحدث الاستاذ السحرتي عن نقد الشعر في مصر . ولعل اروع ما جاء بهذا الفصل الصفحات التي تكلم فيها المؤلف عن شعر ابي شادي ، فجلا فيها نواحي كثيرة عظيمة من شعر هذا الاديب المغموط الحق ، وعرف به ابناء الجيل الجديد من الادباء والمتأدبين الذين لم يكن لهم حظ معاصرته قراءة ودراسة ، في سن تسمح لهم بصدق الحكم واصالة الرأي .

والبحث الثامن والاخير ، يخصصه الباحث للمذاهب الادبية والنقدية . ويكاد هذا الفصل يكون استطراداً على بعض ما جاء في الفصول الاولى للكتاب ، لولا ما جاء فيه من عرض لنماذج من الشعر الواقعي في العالم . وهنا يتيح الاستاذ السحرتي لقراء العربية ان يقرأوا ترجمة امينة لاشعار و . ه . اودين الانجليزي وفاليري بريسوف ونيكولاي ينكر اسوف ، وبوشكين ومايا كوفسكي من الادباء الروس ، واحمد بيرا التركي .

وفي هذا الفصل يفصح المؤلف افصاحاً تاماً عن آرائه ، فاذا هو يناصر المذهب الواقعي في النقد ، ويقف وقفة لا شك فيها الى جانب الادب الذي يجهر عن آمال الناس وآلامهم ، ويدعو الى الاصلاح والتغيير ، ويدفع بالانسانية الى الامام ، في نفس الوقت الذي لا ينكر فيه التعبير عن الفردية تعبيراً صادقاً خالصاً .

بعد هذا العرض السريع لبعض ما جاء في سفر الاستاذ السحرتي ، نحب ان نخلص الى مناقشة ما استلفت نظر الناقد فأحب ان يقطع فيه برأي مع الاستاذ المؤلف : في الفقرة الاولى من ص٢٧ يقول الاستاذ السحرتي : « وانا لنجد بعض القصائد ذات الطاقة الشعرية القوية ، يند عنها بعض جمالها لاحتوائها على الفاظ غير شعرية » . ولا احسب المؤلف يصر على هذا التعبير « الفاظ غير شعرية » فالالفاظ خارج نطاق المعنى العام للقصيدة لا تكون شعرية ولا غير شعرية ، وانما يضفي عليها القصيد الشاعرية او لا يضفي ، حسب جودته صناعة ومعنى وكان الاصوب ان يقال : « الفاظ لم تتسق مع المعنى العام للقصيدة . فلم يسبغ عليها القصيد صفة الشاعرية (يراجع في هذا الرأي كتاب الناقد الانجليزي ريتشاردز : فلسفة الخطابة) .

وفي ص٦٢ – الفقرة الاولى ، يتحدث الاستاذ السحرتي عن قصيدة للشاعر السوداني يوسف بشير التيجاني فيقول انه بالرغم من ان التجربة في القصيدة غير واضحة ، فان هيمنة الالفاظ وانسجامها تتحدى التحليل ، وتقف في وجه الناقد فلا يملك الا التأثر بسحرها النافذ . هنا يكشف المؤلف عن بعض الايمان الراسب بالشعر كالفاظ

موسيقية مستقلة عن التجربة وعن المعنى . ولما كان الكتاب كله يدل على انه في جانب الشعر المفهوم تجربة والفاظاً ومعنى، فما احسب هذا الا تناقضاً سها عنه المؤلف في غمرة المجهود الجبار الذي بذله في الكتاب .

على ان هذا يثير تعليقاً عارضاً فالشعر «كـكل الفنون الاخرى» له جذور ممتدة في السحر ، وايمان بعض النقاد بموسيقية الالفاظ بوصفها اشياء في حد ذاتها ، او وحدات مغلقة تستعصي على الفهم وتتحدى التحليل ، انما هو ايمان بدور بدائي للشعر كان القصيد فيه ترانيم سحرية وطلاسم مغلقة يرددها الساحر ، او المصلي ، قصد استحداث تغيير خارجي في البيئة ؛ عن طريق تغيير داخلي يحدث في نفس الساحر أو المصلي، ويجعله اقدر من ذي قبل على تغيير البيئة (راجع كتاب جورج طومسون في الشعر) وهذا الدور المقوي ، او العلاجي يشبه الى حد ما نظرية ارسطو في الاثر الذي تتركه المأساة في نفوس المتفرجين ، فتخلصهم من همومهم الخاصة عن طريق عرض مآس كبرى امامهم . ومما لا شك فيه ان الفنون لها ناحية علاجية واضحة تنبه لها العلماء من زمن ، واستخدموها فعلاً في الاغراض العلاجية .

ونقطة اخرى لعلها اهم مما سبق هي نظرة المؤلف الى «الانفعالات السيئة او النازلة » والانفعالات الرفيعة الراقية . هذه النظرة لا تبدو واضحة في الكتاب ؛ وعرض المؤلف لها خليق ان يثير شيئاً من الخلاف في الرأي . يقول الاستاذ السحرتي في ص ٩٥ . « اما الانفعالات السيئة او النازلة ، والتي ترمي الى الاثارة فقط ، فهي مادة غير صالحة للادب ، والشعر ، ولا عبرة باجادة التعبير عنها ، لان الفن مهما انفصل عن الاخلاق ، فهو لن يسمو باثارة الخواطر العابثة ، والعواطف المنحرفة الشاذة . » هذا حكم اخلاقي على الانفعالات وكان من الواجب الحكم عليها حكماً فنياً علمياً .

والصحيح ان يقال ان كل الانفعالات مادة صالحة للادب والفن ولكن تقييم هذه الانفعالات هو الذي يدمغ بعضها بطابع السطحية ويدمغ بعضها الآخر بطابع الخلود . فحديث الشاعر نزار قباني عن الثدي حديث فني ، به جودة في التعبير وبه خيال وتأنق ولكن قيمة هذا الحديث ، قيمة مؤقتة ، لانه يتناول ناحية عابرة في تاريخ الفرد ، وتاريخ الانسانية ، ولو انه اختار انفعالاً آخر كانفعال الفرح ، او الحب ، او الغيرة ، لكان حظه من البقاء اكبر ، لان حظ هذه الانفعالات نفسها من البقاء اكبر واعم .

اما عن انفصال الاخلاق عن الفن فهو انفصال عابر ، والحقيقة ان الفن والاخلاق يلتقيان في ان كليهما تعبير عن الشخصية الانسانية، مع هذا الاحتراس ، وهو ان الاخلاق تعبير مؤقت عن الشخصية الانسانية ، وحظه من التعبير اعظم من حظ الفن الجيد ، الذي يربط نفسه بالحقائق الاولى للحياة ، ويدخل في حسابه ان هذه الحقائق تتطور على المدى .

الفن اذن لا يمكن ان يغض الطرف عن الاخلاق ، كما يذهب بعض النقاد والفنانين المنحلين ، ولكنه ينظر اليها نظرة محللة فاحصة ، ويعبر عنها على هذا الاساس المدقق .

بقيت ملاحظة اخيرة على الفصل المعنون «نقد الشعر في مصر» فقد اغفل فيه المؤلف كتابين هامين الاول « الشعراء وبيئاتهم في الجيل الماضي » للاستاذ عباس محمود العقاد ، والثاني ديوان شعر للاستاذ لويس عوض بعنوان : « بلوتولاند وقصائد اخرى » .

واهمية الكتاب الاول ان به محاولة لربط شعراء القرن التاسع عشر في مصر بالبيئات الاجتماعية والاقتصادية التي نشأوا فيها، وهذه خطوة متقدمة في النقد كان من الواجب الاشارة اليها .

اما الثاني ، وهو ديوان الاستاذ لويس عوض ففيه مقدمة رائعة — وان كانت الناحية العاطفية تغلب عليها — عرض فيها المؤلف لحال الشعر العربي وأثار فيه قضية الشعر العربي الكلاسي ، والشعر المصري المكتوب باللغة الدارجة ، ثم اتبع المؤلف هذه المقدمة بمحاولات شعرية قصد فيها ان يصدم الجمود الشعري الذي نعاني منه بقصائد من تأليفه لا تخلو من جمال جديد غريب وهي خليقة بدراسة عميقة من النقاد .

مرة اخرى نهنيء الاستاذ السحرتي ونرجو ان يأخذ كتابه المكان اللائق به في مكتبتنا العربية الحديثة .

القاهرة — علي الراعي

قربان الاغاني

لرابندرانات طاغور – ترجمة الاب يوحنا قمير ١٠٣ صفحات
مطبعة المرسلين اللبنانيين – جونية – لبنان

أعتقد ان اسم « طاغور » معروف لدى كل مثقف واديب وشاعر ومفكر ، في كل بقعة من بقاع الارض المتحضرة .

واعتقد ان المؤسسات الادبية والثقافية ، بما فيها الصحف والمجلات ، واعني العربية منها ، لم تقم بعد بما يجب عليها تجاه ذلك العلم الخفاق من اعلام الفكر والروح . فدراسات العرب عنه ما تزال ضئيلة ، وترجمة آثاره لم يعن بها العناية التي تستحقها، وبالتالي الاثر الذي يحدثه ادب طاغور في نفوس الجماهير والافراد ما زال بعيداً عنا ، وتلك خسارة كبرى لا تعوض، اذ لا مجال لان تعوض .

لقد بذل بعض الافراد العاملين المخلصين جهوداً مشكورة في إبراز النواحي الفكرية الجليلة من تلك الشخصية الانسانية الفذة، فقام الاستاذ اسماعيل مظهر بترجمة روايته الحوارية « الضحية »، وعرب المرحوم « طانيوس عبده » روايته الاجتماعية «البيت والعالم» كما ترجم السيد ابراهيم ابو الفتوح مجموعته الشعرية « زوارق الاحلام » . اضف الى ذلك نتفاً من مقالاته وقصائده التي كانت تنشرها الصحف السيارة هنا وهناك، تضيع معها قيمة فكره وشاعريته معاً . لان مثل تلك « النتف » لا تظهر وحدة الشخصية الادبية ولا تكشف عن اغوار استقلالها وتفردها .

ولكن أحداً من ادباء العرب المعاصرين لم يفكر في نقل ديوانه الاعظم « قربان الاغاني» الذي سما فيه طاغور الى اعلى ذروة يستطيع ان يبلغها شاعر، ان في الحس المرهف، وان في الحكمة الصافية، وان في روعة التعبير عن اغرب الاجواء الروحية والصوفية.

دام الامر كذلك الى ان جاء الاب يوحنا قمير – وهو من عُني بفلاسفة العرب ومفكريهم – فسد ذلك الفراغ ونقل « قربان الاغاني » الى لسان العرب .

نقله وهو يقدم رجلاً ويؤخر اخرى تهيباً لجلال العمل الذي اقدم عليه . وهو لم يتهيب الا لرهافة حسه بالتبعة، ومن كان بهذه المنزلة من الامانة وسمو الخلق جاء عمله، اي عمل يعمله، وعليه طابع الدقة والاتقان، وروعة الطهر والمحبة! وما كان اختياره، مجرد اختياره لذلك الديوان، الا تعبيراً عن هذه الشمائل النبيلة .

هاك ما يقوله في بداية كتابه : « . والناقل، حين يعرب مثل هذا الديوان، يحتاج الى بصيرة بجو الالفاظ، ونغم التقطيع، كي لا يفقد الاصل اتجاهه البعيد، وايقاعه السوي، ويحتاج الى تفهم المومى، ونقل الابهام دون ان يشوه اصلاً، او يفرض تأويلاً » . اتراه وفق الى السير على هذه القواعد التي وضعها هو لنفسه ؟

المشكلة هنا ليست – على ما اعتقد – في تفهم واجباتنا حيال عمل نحاوله . ولا في ادراك القاعدة ولا في القدرة على تطبيقها . المشكلة في «امكانية» العمل ذاته حين نحصره في مثل تلك الحدود، أي في ترجمة الشعر من اساسها، وترجمة شعر طاغور، على الاخص، كفرع.

ولكن طاغور نفسه كفانا مؤونة هذه المشكلة، ويسر علينا حلها، فقد وضع هذا الديوان الذي نتحدث عنه باللغة البنغالية، ثم نقله هو بنفسه الى الانكليزية، فلن يفقد كثيراً من روعته، حين ينقله الاب قمير من الانكليزية الى العربية ولا اظن ان الفرق بين انكليزيته وعربيته اكثر مما هو بين انكليزيته وبنغاليته، اذ من المحال ان نطبق القواعد التي ذكرها الاب قمير بحذافيرها في نقل الشعر .

بيد اني اريد ان اترجم لك، ما اغفل الاب قمير ترجمته من مقدمة الاصل الانكليزي التي وضعها و . ب . ييتس وهو من اعلام الشعر والادب الانكليزي المعاصر قال : « لا اعرف شاعراً ألمانياً هزني، فيما لو كان لترجمة شاعر الماني ان تهزني، الا اذا ذهبت الى المتحف البريطاني ووجدت فيه ما يحدثني بعض الشيء عن حياته وتاريخ فكره ولكن على الرغم من ذلك، فان هذه الترجمات النثرية لطاغور استفزت بي الدم استفزازاً لم يحققه شيء غيرها منذ اعوام متطاولة، هذا، على اني لم اكن لاعرف شيئاً عن حياة صاحبها، ولا عن الحركات الفكرية التي انتجتها، لو لم يحدثني عنها، احد الرحالين الهنود » .

هذه شهادة في قيمة الديوان لشاعر انكليزي يعرف لغة قومه ويعرف ان الديوان مترجم الى لغة قومه، فهو يدلل على روعة الجوهر الشعري عند طاغور بالاثر الذي تركته في نفسه، ولو كانت مترجمة .

ولقد قمت بتجربة ما كان لييتس ان يقوم بها، وهي اني قرأت « قربان الاغاني » بعربية الاب قمير، فأثار فيّ من الهواجس والصور والخواطر ما لا قبل لي بوصفه وذكره، ونقلني الى اجواء فيها من الصفاء والاشراق والروحانية ما لا عهد لي به في ادبنا العربي، ولا في ادب غيرنا من الانكليز والفرنسيس والاميركان.

وطويته مدة الزمن غير يسيرة .

ثم عدت بعدها فقرأته، بالانكليزية، بالاصل الذي وضعه طاغور فوجدت الايحاءات نفسها والصور نفسها والشعور نفسه : لكن الروحانية التي استشرفتها في النص العربي لم اشارفها هذه المرة.

أيكون الاب قمير قد وفق الى هذه الدرجة في ترجمة طاغور حتى اخلولق ان يفوقه ؟

– لا ادري . ولكن هذا هو شعوري او كل ما لحظته انه لم يعالج في مقدمته التي وضعها للترجمة، اصول طاغور الفكرية والروحية ولا روى لنا شيئاً عن مذاهب المفكرين الهنود الاقدمين لتتجلى امامنا عبقرية طاغور في اعمق اعماقها . وهو اذ كتب لنا موجزاً لسيرته . لم يفتح مغاليق التساؤلات التي يثيرها « الديوان» ولا انار المجاهل التي ينبغي ان تنار، وقد كان خليقاً به ان يفعل كل ذلك، سيما و« قربان الاغاني » يحمل في تضاعيفه الواناً من الحياة الروحية الهندية القديمة، فلا يتاح للقارىء العربي ان يتميزها ويتذوق جمالها .

الا ان هذا الامر من السهولة بحيث يستطيع الاب قمير ان يعيد فيه النظر لدى الطبعة الثانية، وتبقى ترجمته، على كل حال، جهداً رائعاً قلّ من يأتي بمثله .

عبد اللطيف شرارة

جولة الأديب في شهر

جامعة اوبسالة ومكتبتها

بقلم الآنسة انعام الصغير
ليسانسيه في الآداب من جامعة فؤاد الاول

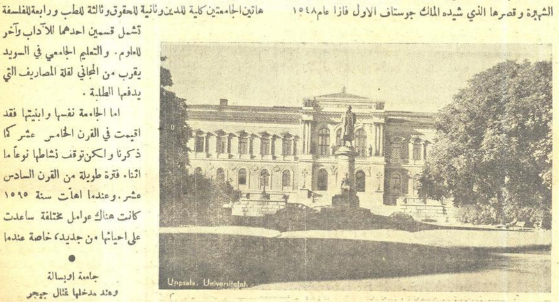
☆

رصانة العلم وهدوؤه تندمجان مع روعة الايمان وبركته ويتردد صداهما معاً في جو اوبسالة — تلك المدينة الساكنة الصاخبة، والقديمة الحديثة. تقع في شمالي عاصمة السويد وقد لعبت دوراً رئيسياً في تاريخ تلك البلاد النائية منذ القرن الثالث عشر حيث كانت ميناء هاماً وسوقاً رئيسية — غوها مستمر وتقدمها دائم. وكانت قديماً عاصمة السويد ومقراً للوثنية فقاومت الكاثوليكية في اول الامر ثم حاربتها، بيد انها اصبحت اليوم مركز السويد الديني «وديانة اهل هذه البلاد الرسمية هي البروتستنتية» والادبي والتاريخي. ومن اهم مبانيها كاتدرائيتها وبعض مقابر الملوك والعظماء وجامعتها الشهيرة وقصرها الذي شيده الملك جوستاف الاول فاذا عام ١٥٤٨ ذلك بجانب ما فيها من المطابع القديمة والحديثة والعربية ومصانع الاثاث والاحذية الخ . . . وكان تطور اوبسالة واهميتها تزداد سنة عن سنة ولكن الحريق الهائل الذي اصابها سنة ١٧٠٢ اخر نموها ولم يسلم من مبانيها سوى الجامعة القديمة والجوستافيانوم الذي اصبح الآن متحف الآثار السكاندينافية القديمة ومجموعات الجامعة العلمية — بجانب عدد قليل من الابنية الاخرى. وعادت المدينة الى الحياة بعد تلك الكارثة تدريجياً ولكنها لم تصل الى ذروة النشأة الا في اواخر القرن التاسع عشر. وتعد الآن « حسب آخر احصاء سنة ١٩٤٨ » ما يقارب ٦٠٠٠٠ نسمة وفيها من البنايات الحديثة والمعامل والمصانع العدد الكثير. وهناك طابع خاص لهذه المدينة الواقعة على نهر فيريس حيث تشغل المعامل الحديثة والمحلات الجديدة الجانب الشرقي من النهر بينما تتجمع على الضفة الغربية منه المؤسسات العديدة التابعة للكنيسة او الجامعة.

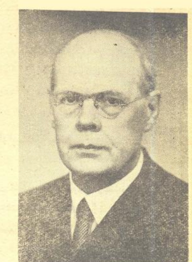
وانشئت جامعة اوبسالة التي حملت اسمها واوسعت شهرتها في جميع انحاء العالم — في سنة ١٤٧٧ وهي اقدم جامعة في السويد التي تضم الآن جامعتين — هذه التي نحن بصددها واخرى في مدينة لوند الواقعة في الجنوب الغربي من البلاد كما توجد كليات متفرقة للحقوق والعلوم والآداب في استوكهلم — في العاصمة واخرى بمدينة جوتنبورج الواقعة غربي السويد وتحتوي على كلية للآداب فقط. وفي كل من هاتين الجامعتين كلية للدين وثانية للحقوق وثالثة للطب ورابعة للفلسفة تشمل قسمين احدهما للآداب وآخر للعلوم. والتعليم الجامعي في السويد يقرب من المجاني لقلة المصاريف التي يدفعها الطلبة.

اما الجامعة نفسها وابنيتها فقد اقيمت في القرن الخامس عشر كما ذكرنا ولكن توقف نشاطها نوعاً ما اثناء فترة طويلة من القرن السادس عشر. وعندما اهلت سنة ١٥٩٥ كانت هناك عوامل مختلفة ساعدت على احيائها من جديد، خاصة عندما

●



جامعة اوبسالة
وعند مدخلها تمثال جيجر



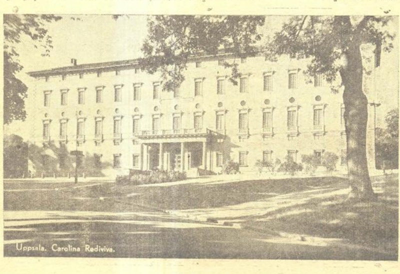
الاستاذ هنرك ساموبل نيبرج

تبرع لهـا الملك جوستافوس ادافوس اما البناية الاصلية الحالية فيعود تاريخ افتتاحها الى ايار سنة ١٨٨٧ وقد كانت قبل هـذا التاريخ تشغل بناية الجوستافيانوم وفي قاعة المجلس القديم وفي البناية الرئيسية في الجامعة مجموعات رسوم قيمة وصور ثمينة . وفي الدور الاول في قـاعة المجلس يزين الجدران عدد من صور الملوك اجملهـا صورة الملك جوستاف فاسا من رسم جاكوت بينك . اما باقي الغرف فتحتوي على صور اخرى لعدد من الفنانين السويديين والاجانب . ومن بين طلابها الاربعة آلاف وخمسمائة كانت هناك الف ومئة واثنتان وسبعون طالبة في العام الدراسي المنصرم وهناك عدد من المنازل للطلبة والطالبات على احدث طراز بجانب الابنية المختلفة التي تشغلها الجمعيات العديدة والتي تلعب دوراً هاماً في حياة اوبسالة المدرسية .

والمكتبة قلب اية مؤسسة ، فكم بالحري لو كانت جامعة؟ فلننتقل اذاً الى تلك البناية الضخمة – قصر الكتاب – وهي بنـاية مستقلة وخارج فناء الجامعة وتسمى باسم « كارولينا ردفيفا » « Carolina Redviva » تقع على رابية جميلة تطل على المدينة باجمعها وتضمها كلها تحت نفوذها . اما السبب في تسميتهـا بذلك الاسم فيعود الى الاعتراف بجميل الملك كارل يوهان الرابع عشر « Kung Karl Johan XIV » الذي تبرع بالمال لبنائها . وتحتوي هذه المكتبة على اكبر واثمن مجموعة من الكتب في السويد . ففيها ما يقارب المليون كتاب مطبوع وما يقارب الثمانية عشر الف مجلد من المخطوطات ولو صفّت هذه المجموعات من المخطوطات والمجلات لشغلت مسافة خمسة وثلاثين كيلو متراً .

اما نوع بنائها الفني فهو من النوع النيوكلاسيك وقد انتهى في سنة ١٨٤١ اي في عهد اول ملك من اسرة برنادوت الحالية . والبناية طبق الاصل للقصر الملكي النرويجي في اوسلو العاصمة ، اذ ان المهندس الفرنسي هو نفسه الذي وضع تصميم البنـايتين العظيمتين . وتحتوي المكتبة على ثلاث قاعات كبرى للمطالعة وست غرف للدرس وواحدة لقراءة الصحف بجانب ثلاث قاعات للآلات الكاتبة وواحدة للمجلات الدورية واخرى للمطالعة مخصصة لاعضاء رابطة الاطباء في اوبسالة . ومن بين مئتين وتسع وخمسين طاولة فردية للمطالعة هناك مئتان وسبع وعشرون طاولة بادراجها مخصصة للعلماء ولطلبة الدراسات العليا . اما الطاولات الكبيرة فتتسع كل واحدة منها لاثنين وثمانين طالباً ، وهكذا مهما زاد عدد الحضور فهناك مكان كاف لهم ومع هذا ما دخلت مرة تلك القاعة الرهيبة الا وجدتها مزدحمة وتذكرت حينئذ مكتباتنا الجامعية والعامة في لبنان وعدد روادها !

وهناك ٣٢٥٠٠ مجلد تحت تصرف الراغبين في المطـالعة في مختلف القاعات كما انه بامكان الفرد الاحتفاظ بالكتاب الذي



كارولينا ردفيفا
وهي مكتبة جامعة اوبسالة

صفحة من « الكتاب المقدس الفضي »

يرغب فيه على الطاولة لمدة من الزمن غير محدودة الى حين الانتهاء منه وبالطبع يحق لغيره اخذه اذا احتاج له . وقد دلت الاحصاءات الاخيرة ان هناك بمعدل عشرين الف كتاب تكون بين ايدي القراء بصفة دائمة .

اما مخازن الكتب فلا يسمح بدخولها الا للأساتذة وطلبة الدراسات العليا وعند المدخل على يمين الزائر توجد قاعة عرض دائمة فيها كتب ومخطوطات ذات قيمة خاصة . وقد جذب نظري واهتمامي المجموعة التالية :

١ – كتاب «كودكس أرجانتيوس» (Codex Argenteus) او « الكتاب المقدس الفضي » وسمي كذلك لانه مخطوط بماء الذهب والفضة على جلد بنفسجي وهو عبارة عن الترجمة الوحيدة للانجيل بلغة الجوت التي قام بها مبتدع احرف هجاء اللغة الجوتية الراهب فولفيلا (Ulfilas) في القرن الرابع للميلاد « المتوفي سنة ٣٨٣ » . ويرجح ان هذه المخطوطة كتبت في شمالي ايطاليا – ربما في رافين في عهد ثيودوريك الكبير ملك الجوت الغربيين المتوفي سنة ٥٢٦ م – . وفي عام ١٦٤٨ اخذها السويديون كتذكار نصر عندما احتلوا براغ . وبعدها في سنة ١٦٦٩ قدمت للجامعة الملكية في اوبسالة من قبل كبير الامناء الملكيين ماجنوس جابريل دي لا جاردي .

٢ – مخطوطة ايسلندية جميلة وذات قيمة لمدينة اوبسالة يعود تاريخها الى سنة ١٣٠٠ .

٣ – الكتاب المقدس الامبراطوري او المسمى « بالكودكس كيساريوس » « Codex Coesareus » ويحتوي على الاناجيل في اللاتينية مزينة برسوم لامعة رومانية وقد كتب في المانيا في منتصف القرن الحادي عشر للامبراطور هنري الثالث وفيما بعد اصبح هذا الكتاب من ممتلكات كنيسة جوسلار .

٤ – خارطة مدينة مكسيكو وضواحيها من رسم الونسو دي سانتا كروز سنة ١٥٥٥ .

٥ – كتاب الحياة السعيدة «Liber de modo bene Vivendi» لسان برنارد دي كليرفو . وكانت هذه المخطوطة تخص سانت بريجيت السويدية كما يدل على ذلك الملاحظة المكتوبة باللاتينية الموجودة على الغلاف : « من المؤكد ان هذا الكتاب كانت تحمله آمنا الطوباوية القديسة بريجيتا دائماً تحت ابطها بين الآثار النفيسة » .

٦ – خريطة الصين مطبوعة في اواخر القرن السابع عشر ورسمها الياسوعي فرديناند فيربيست .

٧ – خط الموسيقار موزارت وهي قطعة من الفصل الاول من « المزمار السحري » .

٨ – رسالة الملك جوستاف – ادولف الى والدته بخط يده .

٩ – رسالة الملك شارل الثاني عشر الى شقيقته هدفيج – صوفي دوقة هولشتين .

١٠ – احدى المخطوطات الثلاثين المكتوبة على سعف النخيل والمهداة للمكتبة من والد الكونت فولك برنادوت الوسيط الدولي السابق الذي اغتاله اليهود منذ مدة وجيزة .

ولا بد من ذكر العدد الكبير من المخطوطات العربية التي تشغل قسماً مختاراً من مجموعة المخطوطات في مكتبة جامعة اوبسالة . كما انه لا بد من ذكر المجهود الجبار الذي يضعه المستشرق الكبير

الاستاذ هنرك ساموبل نيبرج المولود سنة ١٨٨٩ وهو خريج هذه الجامعة العظيمة حيث بدأ دراسته سنة ٨ ١٩ وانتهى بشهادة الدكتوراه في الفلسفة سنة ١٩٢٠. ويشغل الآن كرسي الاستاذية للغات السامية منذ عام ١٩٣١ وقد انتخب عضواً في المجمع العلمي اللغوي السويدي سنة ١٩٤٨. اما مؤلفاته الهامة بما يتعلق بتراثنا العربي القيم فهي اولاً نشر المخطوطة العربية « انشاء الدوائر — عقلة المستوفز — التدبيرات الالهية » لابن العربي « Kleinere Schriften des Ibn al-Arabi — Leiden, Bull 1919 » كما نشر « كتاب الانتصار والرد على ابن الروندي الملحد للخياط » في القاهرة سنة ١٣٤٤ هـ الموافقة سنة ١٩٢٥ م. وقد عرف الشعب السويدي واصحاب الرأي منهم خاصة بتاريخ الاسلام والعالم الاسلامي في مؤلفات مختلفة باللغة السويدية مثلاً في « تاريخ العالم » لنورستد « Norstedt's: «History of the World » وآخر بهذا الاسم لمؤلفه بونيرز « Bounier's : « Hist. of the World » ... الخ. وله دراسات وافية ودقيقة كذلك عن بهلوي والديانة الايرانية ككتاب « الاديان العتيقة في ايران » « Trans Foralida religioner » وقد ترجم هذا الاخير الى اللغة الالمانية وظهر الاصل في استوكهلم سنة ١٩٣٧.

والاستاذ نيبرج هو رئيس الجمعية السويدية الشرقية (Swedish-Oriental Institute). وهي الجمعية الكبرى التي تضم الافراد الذين لهم ميل خاص في الشرق وما يتعلق به من تراث ثقافي وتاريخ مجيد وهذا المستشرق الكبير لا يفتر يكتب ويحاضر عن العرب والحضارة العربية والشرقية عامة ويدحض اقوال من يحاول ان ينكر على العروبة التقدم العلمي والرقي الثقافي والاجتماعي ولم يتأخر عن الوقوف في جمع حافل ويصحح ما حاولت تناسيه احدى اللبنانيات التي لا يتعدى حدود فهمها وافق ثقافتها معرفة امجاد العرب — اجدادنا — فتستنكر بلغة العرب ما اتى به العرب وما قدموه للغرب في عصر كان هذا الغرب في ظلمة حالكة وجهل تام ويا ليتها تكلمت بلغة الفينيقيين لثبت دعايتها لهم ومحاولة ارجاع اصلها اليهم وكفى ..

من مناظر جامعة اوبسالة

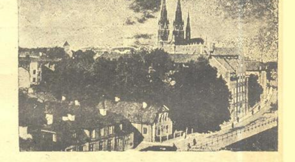
•

من مناظر جامعة اوبسالة

•

واقد سعدت جداً عندما توثقت عرى الصداقة بهذا الاستاذ الكريم فاطمأننت الى اننا عوضنا عن تقصيرنا في افهام حقيقتنا لغيرنا والدعاية لبلادنا اذ انه احسن رسول واصدق داعية لوطننا العربي في بلاده الشمالية يبني معرفته على العلم وينشر معلوماته بعد نبشها من قلب التاريخ.

انعام الصغير



•

من مناظر جامعة اوبسالة

برقيات ادبية

● قررت حكومة الباكستان استعمال الاحرف العربية في لغتها الرسمية « الاوردو » ويعتبر هذا القرار انقلاباً خطيراً في عالم الطباعة والصحافة الباكستانية .

● قررت وزارة المعارف السورية انشاء دائرة تكون مسؤولة عن التعاون الثقافي في البلدان العربية ومنظمة الامم المتحدة للثقافة والتعليم « اليونسكو » وتكون في الوقت نفسه إداة اتصال مع الملحقين الثقافيين في المفوضيات العربية وغيرها بدمشق . وقد طلبت رأي وزارة المعارف اللبنانية في النواحي الواجب اتباعها لتأمين هذا التعاون بشكل واسع مع لبنان وعما اذا كانت توافق على احداث دائرة كهذه في وزارتها .

● يقوم الشاعر اللبناني الاستاذ شارل قرم بنقل بعض روائع جبران خليل جبران الى اللغة الفرنسية وقد ترجم حتى الآن كتابي « النبي » و« يسوع ابن الانسان » .

● كان من المنتظر ان تمنح جائزة نوبل للسلام هذا العام ، ولكنها لم تمنح لاحد وذلك لعدم وجود هذه الشخصية الكبرى التي تستحق الجائزة . وقد ذكرت بعض المصادر غير الرسمية ان تمنح الجائزة للمهاتما غاندي رسول السلام غير ان غاندي قتل . وجرت العادة على ان لا تمنح الجائزة لاحد بعد وفاته .

● كتبت المفوضية السورية في « الريو دجانيرو » الى وزارة المعارف تقول ان المجمع البرازيلي للفنون الجميلة رغبة منه في جعل اعماله الفنية ذات نطاق عالمي يطلب تسمية أنبه الفنانين المشهورين في سورية لترشيحهم لعضوية هذا المجمع بصفة اعضاء مراسلين ، ويشمل ذلك الرسم والتصوير والنحت والفخار والبناء .

● قدم المسيو وايسمان وزير التربية في في الحكومة البلجيكية ورئيس الوفد البلجيكي الى مؤتمر اليونسكو الذي عقد في لبنان اقتراحاً الى حكومته بانشاء كرسي في احدى الجامعات البلجيكية الكبرى لتدريس تاريخ الحضارة العربية .

● قرر مجلس معارف العراق فتح ٣٠ مدرسة ابتدائية جديدة ببغداد و١٥ مدرسة بالموصل و١٥ مدرسة بالبصرة وثلاث مدارس بكركوك وثلاث باربيل وثلاث بالسليمانية على ان يتم فتح هذه المدارس وتهيئتها لقبول الطلاب في اول افتتاح السنة الدراسية القادمة .

● كتب الاستاذ جورج كامرون من جامعة متشيجان والاستاذ في مدرسة الابحاث الشرقية ورئيس بعثة الآثار الامريكية التي تزور ايران الآن تقريراً قال فيه انه كشف عن سر الكتابات التي نقشها الملك داريوس الفارسي على جبل بيستون منذ الفين وأربعمائة عام وهو السر الذي اطلق عليه « سر حجر رشيد الجديد » وقد حير علماء الآثار سنوات عديدة لوجوده في بقعة بعيدة المنال يصعب الوصول اليها .

وقد ظل الاستاذ كاميرون ثلاثة اسابيع يجاهد ويتعرض للموت كل يوم ليتمكن من الحصول على نسخة دقيقة لهذه الكتابات المنقوشة على الصخر وهو معلق في الهواء على بعد ١٩٦ قدماً من طنف جبلي وعلى مائة قدم فوق الارض الصخرية الواقعة شرقي كرمنشاه في غربي ايران .

ويقول الاستاذ كاميرون « ان قصة حياة داريوس تجلت الآن في وضوح بالغ واصبحت اعرف سر اربعة اعمدة ضخمة نقشت عليها هذه الكتابات التي لم يسبق لاحد قراءتها لانها قائمة في بقعة يتعذر الوصول اليها ومع هذا فليس في نيتي ان ابوح بهذه الاسرار الا بعد ان تتاح لي الفرصة لدراستها من جديد .

وكتبت هذه النقوش بثلاث لغات وتعد من اشهر الآثار التي من نوعها في آسيا الغربية .

● من الكتب التي ظفرت بها المكتبة المصرية اخيراً ما يلي : « ديوان الخليل » الجزء الثاني لخليل مطران بك ، و« عصر اسماعيل » وهو طبعة ثانية في جزءين ضخمين للاستاذ عبد الرحمن الرافعي بك والطبعة الثانية من الجزء الاول من كتاب « الجانب الالهي من التفكير الاسلامي » للدكتور محمد البهي ، والطبعة الثانية من كتاب « فن القصص » للاستاذ محمود تيمور بك و« الدستور السوفيتي » لفؤاد محمد شبل ، و« فن التجميل » لاحمد الارفلي ، و« روضات الفردوس »» لعلي ادهم و« الراحة النفسية » للدكتور ابو مدين الشافعي ، و« اروى بنت الخطوب » للسيدة وداد سكاكيني ، و« حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين » للدكتور راشد البراوي ، و« المسكرات » لاحمد الارفلي ومحمد محمد فضالي ، و« العيون في العلم » لقدري حافظ طوقان ، و« عشرون قرناً » لحبيب سعيد ، و« سياسة جديدة لوطن جديد » لسيد مصطفى » و« امرأة في كأس خمر » لعبد الحميد باز ، و« لا جديد في الحياة » كتاب بالفرنسية للاستاذ مصوبع و« المجاعة والتربية » لحلمي ميخائيل ، و« حياة داود » للقس جرجس هابيل ، و« سيرة الرسول » في جزءين لمحمد عزة دروزة ، و« شخصيات صوفية » لطه عبد الباقي سرور ،

– بقية المنشور في صفحة ٧ –

وقت قريب ، وان لك ان تختار ميعاد الزيارة .

فلما ركبت القطار بدأت اكتب خطاباً الى زوجتي تاركاً كلماتي ان تنساب فوق الورق انسياباً ، لا اختار كلمة ولا ابدل اخرى . بل ولا اتردد في انتخاب الكلمات بل ولا افكر فيها .

فقلت لامرأتي عفو الخاطر : يا اعز الناس عندي لقد عدت من فوري من زيارتي « لزيزي » و« جون » واري لزاماً علي ان انبئك انه لم يبالغ قط في مدحها والثناء عليها ، فلقد وجدتها فوق ما كان يصف جمالاً وفتنة وملاحة .

واني لاتوقف عن المضي في الوصف ذلك لاني لم ارها الابطريق السمع . وكذلك قد رآها « جون » من قبل وهو ما تستطيعين ان تسميه « شهوداً في الظلام » .

ومع ذلك كله ، وفوق ذلك كله ، وأيت الجمال كله . ؟

القاهرة

مبارك ابراهيم



٢٧ كانون الثاني ١٩٤٩ – اكد الجنرال كلاي ان الحكومات الغربية ستمنع تسليح المانيا مجدداً .

– دعا المستر بانش لجنة التوفيق الثلاثية للاشتراك بمحادثات رودس بين اسرائيل ومصر بعد ان تحددت المحادثات بالاخفاق .

– اعلن الثوار اليونان استعدادهم لاجراء مفاوضات الصلح مع الحكومة .

٢٩ – اعترفت بريطانيا بدولة اسرائيل اعترافاً واقعياً ، وقمعت الهند والباكستان وسيلان .

– اقر مجلس الامن المشروع الذي قدمته الولايات المتحدة والصين والنروج وكوبا بانشاء ولايات اندونيسيا المتحدة .

٣١ – وافق الزعماء الشيوعيون على عقد صلح منفرد مع السلطات الصينية في منطقتي نانكين وشنغاي .

– اخفقت نهائياً المفاوضات الدائرة بين السويد والنروج والدنمرك لانشاء الحلف السكانديناني .

١ شباط – اعترفت الولايات المتحدة بدولة اسرائيل والمملكة الاردنية الهاشمية اعترافاً كاملاً .

٢ – دعا المرشال ستالين المستر ترومان للاجتماع به في احدى بلدان اوروبا الشرقية .

– اعترفت كولومبيا بدولة اسرائيل .

– قتل سلطان عدن غيلة بيد الثوار .

٣ – ارسلت مصر احتجاجاً الى الدول التي اعترفت باسرائيل .

– وافقت لجنة الخارجية بمجلس الشيوخ الاميركي على رصد ١٦ مليون دولار للاجئين الفلسطينيين .

٤ – رفضت الولايات المتحدة المشروع السوفياتي العام لانهاء الحرب الباردة بين الشرق والغرب .

– بحثت اللجنة الدائمة لاتحاد غربي اوروبا تفاصيل انشاء المجلس الاوروبي الذي وافق على انشائه وزراء خارجية الاتحاد في اجتماعهم الاخير بلندن .

– اطلق صحافي النار على شاه ايران فاصابته رصاصتان اصابة طفيفة وقد اعلنت على الاثر الاحكام العرفية واعلن نظام منع التجول .

٥ – اعلن رئيس اركان حرب الجيش الاميركي ان اميركا ستستخدم القنبلة الذرية اذا وقعت الحرب .

– حلت الحكومة الايرانية حزب تودا الذي ينتمي اليه مطلق الرصاص على الشاه .

٧ – وقعت الحكومة السورية اتفاقية النقد مع فرنسا .

٨ – قبلت حكومة شرقي الاردن رسمياً دعوة الدكتور بانش لحضور محادثات السلم الدائرة بين مصر واليهود .

– اصدرت محكمة بودابست حكمها على الكردينال مندزنتي بالسجن مدى الحياة .

١٠ – حكم بالاعدام على قاتل غاندي .

١٢ – وصلت لجنة التوفيق الثلاثية الدولية الى القاهرة وتباحثت مع الحكومة المصرية بشأن اعادة اللاجئين الى بلادهم ومستقبل القدس .

– استدعي الجنرال ايزنهاور من جامعة كولومبيا للاضطلاع بمهام رئيس اركان الجيوش الاميركية المشتركة لاقرار ستراتيجية عسكرية عامة للولايات المتحدة .

– اصدر البابا امراً بحرمان جميع الاشخاص الذين كانت لهم علاقة بمحاكمة الكاردينال مندزنتي من حقوقهم الدينية .

– اغتيل الشيخ حسن البنا مرشد جمعية الاخوان المسلمين بالقاهرة .

١٤ – استقال المسيو اندره ماري وزير العدل الفرنسي .

– اتصل نوري السعيد باشا بساسة العراق وشخصياتها الكبيرة للتعاون فيما بينهم بقصد وضع سياسة قومية موحدة للشؤون الداخلية والخارجية .

– عقد مجمع الكرادلة لاول مرة منذ مئة سنة جلسة سرية للتوفيق بمسألة الصراع القائم بين الكنيسة والشيوعية في المجر . وقد صرح البابا بان قصد الشيوعيين هو قلب الكنيسة الكاثوليكية فيها .

١٥ – اعلن في رودس ان المحادثات بين المصريين واليهود سائرة في طريق النجاح .

– توجهت لجنة التوفيق الى جدة بعد ان انهت محادثاتها في القاهرة .

١٦ – انسحبت روسيا واوكرانيا وروسيا البيضاء من منظمة الصحة العالمية .

– رفضت روسيا دخول هيئة دولية اراضيها للتحقيق حول المقترح الاميركي القائل بضرورة اجراء التفتيشات اللازمة حول امكانية وجود ٨–١٤ مليون عامل رقيق في روسيا ، ومن المنتظر أن تقرر الامم المتحدة احالة القضية الى مجلس نقابات العمال العالمي .

١٨ – قدم المستر اتشيسون الى اللجنة الخارجية في مجلس الشيوخ الاميركي نصوص ميثاق الحلف الاطلنتي .

– جددت هيئة الامم المتحدة ابحاثها في قضية الاشراف الدولي على الطاقة الذرية بالرغم من رفض روسيا الاشتراك بالبحث .

١٩ – رفضت تركيا الانضمام الى الحلف الاطلنتي المقترح .

٢٠ – عثر البوليس المصري اثناء قيامه بالتفتيش في منازل اعضاء جماعة الاخوان المسلمين على وثائق تكشف عن خطط لاعلان مصر جمهورية .

٢١ – اذيع ان اللجنة السياسية للجامعة العربية ستدخل – باجتماعها في الشهر القادم – تعديلات جوهرية على ميثاق الجامعة .

– وصلت لجنة التوفيق الثلاثية الدولية الى دمشق قادمة من جدة .

– تقرر صرف ٥ ملايين دولار لتسليح البيض الابيض لمقاومة الغارات الذرية .

٢٢ – وصلت لجنة التوفيق الثلاثية الدولية الى بيروت .

– اصبح الاتفاق بين المصريين واسرائيل على عقد هدنة دائمة في حكم المنتهي ، ويتوقع الاتفاقية قريباً .

– تنتظر دوائر هيئة الامم برودس ورود جواب الحكومة السعودية بالقبول على دعوة الدكتور بانش لاجراء مفاوضات الهدنة الدائمة بينها وبين اسرائيل .

– قررت شرقي الاردن الغاء النظام العسكري في فلسطين والاستبدال به نظاماً مدنياً .

مطابع صادر ريحاني – تلفون ٦٨ – ٦٣